

« ماملأ ابن آدم وعاءاً شراً من بطنه ،

(حديث الشريفة)

هم بطني عبطني

للمعارف بالله
الشيخ محمد الجنيهي
الشهيد بالمكية قدس الله سره ونور شريعه

حقوق الطبع محفوظة

يطلب من

مكتبة الجبل

بسيدينا الحسين بمصر ت ٧٤٥١٨

دار الطباعة المحمدية - درب الاتراك بالأزهر بالقاهرة

إذا ما نجا الإنسانُ من شرِّ بطنه
وإن هو أرضاها وفاءً لأمرها
فكلُّ بلاءٍ في البرايا بلاؤها
ومن لم يطمعها عاش واحدَ عصره
ومن كان إرضا البطن أكبرَ همه
فكلُّ أذى يلقاهُ بعدُ يهونُ
تجاذبهُ للهلكاتِ جنونُ
وكلُّ شقاءٍ كان أو سيكونُ
وإني لهذا بالمفازِ ضمينُ
فقيمتُهُ ما تحتوى وتصونُ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة موجزة في حياة المرحوم المبرور العارف بالله الشيخ محمد الجنبهي
(قدس الله سره)

وانما المرء حديث بعده فكأن حديثاً حسناً لمن وعى

ولد المترجم له ، في قرية تدعى « جنبواي » من قرى مركز
« إيتاي البارود » من أعمال مديرية « البحيرة » من والدين كريمين
صالحين ، كانا قدوة حسنة للناس في التقوى والورع ، وسلامة
الطوية ، وحب الخير ، فأبوه المرحوم العارف بالله الشيخ عبد النبي
ابن حمزة ، وكان عمدة القرية طول حياته ، وأمه المرحومة السيدة
فاطمة بنت سالم ، كان بينهما معبداً ودار ضيافة ومنازلاً للعلم والدين ،
وقد أنجبا أربعة أبناء المرحومين . الشيخ أحمد والشيخ محمد المترجم له
والشيخ حمزة ، والشيخ عبد الوهاب ، وكانوا كلهم صالحين أتقياء ،
نشئوا نشأة دينة بحمة ، وتلقوا علومهم في الأزهر الشريف ، بعد أن
حفظوا القرآن الكريم في كتاب القرية ؛ وكان أوفرهم حظاً منها ،
المرحوم الشيخ محمد الجنبهي ، فقد كان فذاً متضلعا متمكناً بآقرانه ،
إذ كل همه تحصيل العلم لذاته ؛ ديناً ورعاً متواضعاً ، قوى الإيمان ،
شديداً في الحق ، لا يخشى فيه لومة لائم ، قضى رحمه الله أعواماً

كثيرة في التعبد والخلوة في زاوية بالبلد ، وكان أواباً بكاءً ، يقضى ليله قائماً مجتهداً في استغفار ربه ومناجاته والبكاء والتذلل له والخشوع بين يديه ، فذاق حلاوة المناجاة وحلاوة القرب من الله ؛ ونال رضاه ومحبته ، فأجاب سؤاله ، وعجل له أربع دعوات سأله إياها ، منها الإقامة في مصر . وأن يرزقه الله تعالى ولداً صالحاً يكون قرّة عين له ، وشجرة مطلة على أسرته وأهله وذويه ، فحقق الله سبحانه وتعالى كل رغبته ؛ ومنّ عليه بالإقامة في مصر ؛ وبنجله المرحوم عيد العزيز محمد (باشا) وزير الأوقاف سابقاً الذي كان مصدر خير ، فلا منه الدنيا . وكان المرحوم المترجم له ، محباً لأولياء الله وعباده الصالحين عاشفاً للمتصوفين قرأ كتبهم ، وفقه حكمهم وطرائقهم . وقد شطر قصيدة مشهورة لسلطان العاشقين سيمى عمر بن الفارض ؛ وكان قد اختلى أياماً في ضريحه وقد اشتغل بالخطابة عدة سنوات في مسجد (المطهر) رضى الله عنه ، الواقع في أول شارع (الصاغة) بالقاهرة ، فكان دائم البكاء يبكي المصلين لحسن أدائه ، وقوة إيمانه وإلقائه ، حيث كانت نصائحه تفيض من القلب لتصل إلى القلوب ، وقد فتح الله عليه ديوان كبير للخطب أسماه « إرشاد شوارد النفوس إلى رحمة مولانا الملك القدوس ، وذيل هامشه بكتاب أسماء » متابعة الأسرار ومطالعة الأنوار في التبرك بأوراد أقطاب من الأكابر الأخيار ، ويليه نبذة من حكم صوفية ، وبعض كلمات فلسفية ، ثم اتبعه ديواناً آخر جليل ، أسماه « كتاب السراج الوهاج في الدلالة على أشرف مآج » ضمنه خطباً تدعو إليها ظروف الأحوال ، وكلها مواعظ نافعة ، ونصائح مفيدة

للناس في أمور دينهم ودنياهم ، وقد كان رحمه الله ملهماً ، وذلك بإقراره في مطلع قصيدة له في كتابه (العمل المبرور في ردع أهل القُرور) حيث قال :

يا ملهمي من وراء القلب آرائي بسر رابطة تخفي عن الرائي
وقد عاش خمسة وثمانين عاماً ، نهايتها سنة ١٩٢٧ م ، قضاها كلها في العبادة والجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمته ، ونصرة دينه ، وفي النصيح والإرشاد بقلبه وقلبه ، ومحاربة الفساد والإلحاد ومناهضة الملاحدة والمفسدين ، أعداء الأزهري وأعداء الدين ، الذين هم أضر عليه من المشركين والمبشرين ، لأنهم أدعوا دخلاء عليه . يطعنونه من الخلف ويتسمون بأسماء المسلمين وقد ألف في ذلك أكثر من ثلاثين كتاباً ، طبعت مراراً وتكراراً ، وانتشرت وذاعت في جميع الأقطار الإسلامية ولا يزال له ست مؤلفات لم تطبع بعد وهي :

١ - الجزء الثاني من رسالة الحبيب ودلالة الطبيب

٢ - رسالة النكبات العصرية والبرغيات الزيقية يبيها محمد الجنبهي المسكين لزعماء المذهبين والمتنورين

٣ - كتاب عجائب الأقدار ، وغرائب الأقدار يبين ما علم منها لعوام المؤمنين محمد الجنبهي المسكين

٤ - كتاب طهارة البحار من منتزات الجيف والأقدار : رسالة يسرها رب العالمين بلسان محمد الجنبهي المسكين ، وقد كتب

عليها أزال الله عنه ربة الأباق وألمه فهم ما في الآفاق من
الآيات البينات والدلالات الواضحات ببركة أهل التحقيق من
أكابر رجال الطريق .

٥ - كتاب بلايا السماع ومصائب الاطلاع ، يبينها للبسطاء ، محمد
الجنبيهي المسكين .

٦ - كتاب الأسئلة السديدة والأجوبة المفيدة يطرحها محمد الجنبيهي
المسكين بين يدي الأساتذة العصريين .

وكان قدس الله سره يقوم الليل متهجداً قائماً يناجي ربه باكياً ؛
ثم يقضى أول النهار في المطالعة ، وتأليف كتبه ، وينزل بعد صلاة
العصر إلى حديقة منزله ، فيتلوا أحزابه وأوراده ، وقد كان الشيخ
محمد عبده . والشيخ عبد الكريم سليمان وهما من زملائه في الأزهر
الشريف يزوران في بيته فيجدانه مشغولين بذكر الله تعالى ، وتشطير
بعض القصائد الدينية المشهورة ، فما نظمه ووجد بخطه بعد وفاته
تشطير هذه الآيات :

(دع المقادير تجري في أعنتها) لا توقف الفكر بين الفيل والقال
واقطع نهارك بالتفويض مغتبطا (ولا تبينن إلا خالي البال)
(ما بين غمضة عين وانتباهتها) كم من تصاريف أرزاق وآجال
وفي الدقائق دوارت الزمان بها (يغير الله من حال إلى حال)

وزار المرحوم العالم الجليل الأستاذ الشيخ عبد الفتاح وهيبة

الشرنوبى دار أسرة العارف بالله تعالى المرحوم الشيخ أحمد الفقى
الجنيبى بجنبواى (بحيرة) حوالى سنة ١٣١٥ هـ ووصف ما شاهده
من حال أهل هذه الدار بالآتى : -

أتيت لمزة فوجدت أحمدُ فظلتُ مهلاً وطفقتُ أحمدُ
نفضنا فى العلوم لكل فن كأن ديارهم يا قوم معهم
سمعتُ البعض بعد النصف يتلو ويهتف بالدعاء وقد تهجدُ
وعند الفجر أذنَ خيرُ حبرٍ على سطح وأهل البيت سُجدُ
رجال فى الدجى لله قاموا كأن البيت مضيئة ومعبود
وجوه كالبدور وفى سناء كمحاتم طيَّء أو هنَّ أجود
رحلت عن الكرام فشيعونى بوافر شكرهم والعود أحمد

رحم الله الجنيبى ، فقد كان يتخذ القلم أداة لإرهاق المشاعر
والأحاسيس ليسهل عليه من بعد ذلك أن يوجهها وجهته التى يريد
وبغيته التى يتمناها لمصلحة هذا الوطن العزيز ، مثل ما فعل فى كتيب
صغير له ، إلا أنه عظيم الفائدة ، كبير النفع ، وهو كتاب :
(هم بطنى عبطنى) التى شامت القدرة الإلهية أن يظهر للوجود
بعد نفاد طبعته الأولى بفضل تضافر الجهود المشكورة لمكتبة
السيد محمد على الجندى ، ونحى نشر التراث الدينى ، أمثال السيد الحاج
وأحمد محمد زكى جوهر ، السكتى بالسودان حيث تعاهدوا على إحياء

الكتب الـديـلية النادرة القيمة لأـكابر العارفين والأولياء العاملين
بما سيكون له إن شاء الله أمر محمود في الذود عن الدين ، وسلامة
الأرواح والقلوب في هذا العصر الحديث الذي طغت عليه الماديات
فهو أحوج ما يكون إلى العلاج بالروحانيات .

بدوى طه علام

المدرس بالمدارس الأميرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تأمل ترى ألا كوان عقد نظامها تكوّن من أمرين إن كنت مبصرا
بطون نحنا كالسلك فانتظمت به مظاهرها أعيان الظهور كما ترى

جعل الله سبحانه وتعالى البطون أساساً لقواعد هذا الوجود الصوري
وجعل مظاهر الظهور قوائم بليانه الواهي الأوهن . فالبطون بغير ظهور
لا يعرف والمظاهر بلا بطون لا تعرف ولا تتكيف . البطون أصل ثابت ،
والظهور فرع ثابت . البطون طريق لما تحده الغيوب التي ما فيها إلا الحق
تبارك وتعالى وحده لا شريك له ، والظهور مطايا مظاهر لك الحوادث
تسير بما تبرزه القدرة العلية إلى حيث يشاء الأفعال لما يريد جل شأنه . تقدست
أسماءه ولا إله غيره ولكن الذين اشتغلوا بمآظهم عنها طمسوا قول في شك
مريب وأهل الزيف والجدل في ضلال بعيد :

إذا ما شهدت الداء يذهب الدواء وأن ارتبنا لآلئ الوصيرة طمنا
تحققت أن السر سار بحالة يشاهدها في لغز من راف اللبنا
وأيقنت أن الكائنات بأسرها يسيرها من ظل يسير لها ربنا

تعمل العقاقير والأعشاب في الحيوان ما لا قدرة له على الحصول عليه
بسواها ولولا النباتات تغذيه لهلك . وهل كان ذلك إلا لمناسبات كونية
ارتبطت بها الموجودات بعضها ببعض لا يعلم كيف كانت إلا مكوّن تلك
الأكوان (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

هذه مبادئ سرحة فكرية وسياحة نظرية ما جاوز صاحبها في الرحيل مقامه ولا قطع في شقة السير لبااليه وأيامه ولكن الأفكار متى تمطت مطايا التذكار ومدت آفاق التبصر والاعتبار تجوب الفياض والآفاق وتطوى أكناف السبع القرى والأمصاير بل تجمع أطراف الآفاق وتطوى أكناف السبع الطباق في أقل من الزمن القليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وكان الله على كل شيء مقتدرا .

(الصيد كل الصيد في جوف الفرا)

كلامنا الآن على الحيوان ولكن الإنسان الجهول هو محط النظر يرى المتأمل البصير الإنسان بحراً لا ساحل له ولا جهة ليس لها قرار وهاوية يستهلك فيها الغالب من العوالم السفلية ثم تهلك ورائها وليس لنا في الكلام على عودته بعد ذلك الاستهلاك مجال الآن مجال من الأحوال ولكننا مؤمنون بقول الحكيم العليم وهو أصدق القائلين (كما بدأكم تعودون) وقوله (قل يحياها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم) جواباً للإنسان الذى كان خصماً لربه ونسى خلقه ثم قال (من يحيى العظام وهى رميم) فمن شك في عوده الإنسان كرة أخرى ليهتد الذى كان عليه في دنياه فيسئل عنه بين يدي ربه فهو الخامر الصال ولقد وقفنا في هذا المجال على جادة الطريق التى وصفها الله لنبيه بقوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ونسأل الله تبارك وتعالى حسن سلوككم في هذا المجال خطر إلا على من علمه ربه علم اليقين من أهل الخشية والأدب المبرؤون من الزبدقة والذبدبة

كثير الأباق أطلت الجفنا وحول الديار دواماً تطوف
فهلا خجلت وهلا استجيت وهلا ندمت وأنت المؤوف
على ما اقترفت وما قد جنيت وحيث سلكت السبيل المخوف
أتعلم ربا سوى من سما وقال سالوني فإني رؤوف
فدونك فاسلك سبيل المتاب ونادى الحليم الكريم العطوف
ولاً فزق حبال الرجا ولج في العصاة وسأوى الصفوف
فثلك كم من كلاب عصوا ومنهم مئين ومنهم ألوف
وهل للجحيم سوى من طغى وللأضحياء يغدئ الحروف

سبحان فائق الحب والنوى ما زالت ولا تزال تتجدد أنواع النباتات
بتجدد الفصول والأعوام حفظاً لحياة الإنسان وكذلك الثمار على اختلاف
أنواعها والمرعى الذى امتن الله به فى قوله (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق
فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غشاءً أحوى) لتغذى
به الأنعام فيطيب للانسان تزارل لحومها ويتحصل على ما فيها من المنافع التى
ذكرها الله فى قوله (وذلكناها لهم فنهار كوابهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع
ومشارب أفلا يشكرون) ثم الطير والوحش وعالم البحار كل ذلك مقرر غالبه
جوف الإنسان من آكل وما كول وحامل ومحمول لأن الله سخر له كل
ما بين السماء والأرض ثم جعلها ذلولاً له وسخر له الشمس والقمر والنجوم
والشجر والدواب ولو جمعنا ما يستهلك فى جوف الفرد الواحد من أفراد
الإنسان مما ذكرنا من مبدإ وجوده إلى نهاية عمره وجعلناه فى كفة الميزان
فى مقابلة الأنسا لكان كلاً شياً بالنسبة لما وضع فى مقابله وما ندرى أين

ذنبت هذه الموجودات فسيبحان القادر الحكيم المدبر العليم (قتل الإنسان ما أكره).

يطلق المتبصر عنان فكره في العوالم الكونية ليعلم لذلك التسخير مغرب شروق أو مشرق غروب فيتحقق حاله ومآله من أين وإلى أين فلا يرى إلا ظهور مظاهر تولد عن بطون فيه سرٌ مضمون وذلك السر أمر غيبي قام به كل ظاهر وباطن لا يعلم كيف هو إلا من هو الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وما الملقى القول إلا لقوم يهقلون وما علمنا إذا لم تفهم البقر . ما كان ذلك التسخير إلا تكريماً وتفضيلاً كما قال الله تعالى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ووصلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) وأبّت حكمة اختلاف الاستعدادات والقوابل إلا حجب النجوى بين عن إدراك هذا التكريم بوجه من وجوه تبصر والتذكّر ثم كتمت عن بصائر أهل الاختصاص البراقع والاستار وما كان لهم لمن بيده ملكوت كل شيء :

أراني آلات وأنت محرّكي أنا قلم والإقتدار الأصابع
وترحم آخر بقول القائل :

مولاه قلبي من الست الجهات متى يحظى بتدبير وصل منك مولاك
وقال من أقامه منهم مولاه في الأسباب :

نظرت فلم أنظر سواك أحبه ولولاك ما طاب الهوى للذي يهوى
وذلك عندما شهدوا الحجب التي حالت بين بصائر أهل الدعوى
وبين ذلك السر الذي ما غاب عنهم طرفة عين ولولاه لهلكوا وما هو إلا

الوجه الذى أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله (كل شىء هالك إلا وجهه) وقد وصفه الإمام ابن الفارض بقوله :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها جدير أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
واستهتر ذلك الرجل الكامل واستغرق ذكرأ وثناءً وتخلي عن
الأغيار وتخلي بحمل الأسرار فكشفه الحبيب المحبوب بشىء من أسرار
الغيوب فرأى نفسه على ما هى عليه من الذل والافتقار والعجز والضعف
والانكسار فعلم أنها كلا شىء وإن الشىء الذى يقال له شىء هو الذى
قام به كل شىء فوقه فى موقف الذل تحت ميازيب الرحمت متعرضاً
كما أمره نبيه للنفحات وإذا بقائل يقول إن ترانى ولكن انظر إلى
الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فنظر فما وجد جبلاً إلا بشريته
وتحقق أنها إذا زالت زال ذلك التسويف ولا تزول إلا بالتجلي فتنادى
رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير فظهر النور وانكشف المستور وتذكرك
الجبل وصعق المنادى من شدة الوجع فقبل له لاتخف نجوت من القوم
الظالمين الذين هم عوالم بشريته من شهوات وخطرات وأوطار وأفكار
وموانع وأغيار فسبحان من لا يثبت لتجلي عظمتة شىء يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

خرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً لأنه تولد عن عماء والعماء
لا علم معه وزيد بالعماء الخفاء وأظنه هو المعنى المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
كان فى عماء جواباً لمن سأله أين كان الله قبل خلق الخلق إذ الشمس بالنسبة
للأعمى فى عماء ولو كان للموجودات فى وجودها الثبوتى الأزلى أبصاراً

وبصائر لعلمت الحق على ما هو عليه ولكنه كان بالنسبة لها في عمام أى خفاء كما أشار إلى ذلك الحديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف تغلقت الخلق في عرفوني وما ظهرت المخلوقات إلا من ذلك العمى فقام أعمامهم يقول كيف إن العمى يوجد موجوداً فسبحان من احتجب بشدة ظهوره وترك الضال حائراً في ظلمات غروره إن ربى على كل شيء قدير وما خرج الإنسان من بطن أمه إلا والتسخير يصحبه حتى في ارتخاء الأعصاب والعروق التي تفتحت له به المنافذ التي خرج منها وقد كانت أضيق من السجن المظلم وما زالت القدرة العلمية بتعطفاتها الرحوتية تسخر له ثدياً يغذيه وأبداناً تحمله وقلوباً ترحمه وتدفع عنه مضاراً لا تغفل عنه تلك القدرة طرفة عين حتى ترعرع شبابه وفرح به ذووه وأحبابه فوجد نفسه على عرش ذلك الظهور والتسخير مستوياً حيث المسخرات التي ذكرناها حافة حوله يناديه لسان حالها بقولة قوم بلقيس (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) ثم لما لم يجد مانعاً يحوجه إلى البحث عن منازع ينازعه أو مشارك يشاركه استبد برأيه واستقل باختباره وعمله غافلاً عنها أبصره الذين فتح الله أسماعهم وأبصارهم ففاجأه نظر أوّه يجاذبونه ذلك الاستواء غير عالمين بأن لكل موجود رتبة وجودية لا شريك له فيها مختصة تلك الرتبة بشئون ودواعى وبواعث وأعمال وحظوظ مقسومة كل ذلك بقدر معلوم عند من عنده خزائن كل شيء ولما كان ذلك التجاذب عن جهل بغير حق كان من الإنسان ما تراه الأعين وتسمعه الآذان من المشاجرات والطفيان لحكمة يعلمها العليم الخبير إذ لو كان الناس جميعاً من أرباب البصائر النيرة

لما تنازع اثنان على شىء واحد ولما طلب طالب غير ما قسم له ولما
تخاصم المتخاصمون ولما جاء أهل الدعوى بزور وبهتان وإنما لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ،

علم الحق تبارك وتعالى الذى بيده ملكوت كل شىء ما علمه من
الإنسان قبل وجوده من الشئون التى لا بد من وجودها منه ليكون النظام
تاماً وكان من أوصافه أنه ظلم جهول بجهله آخر الاجناس السكينة وجوداً
وظهوراً بعد ما هياً له ما يحتاج إليه من هذا الملك الكبير كاتها المساكين
لسا كنها ليعلم أنه ليس هو المالك لها ولا صاحب الامر والنهى فيها لانه
لا قدرة له على تدبير نظامها وليعلم أنه صغير بالنسبة لما يراه منها كما قال الله
تعالى (أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها
وأخرج ضحاها) إلى آخر السورة ثم لم يشهد خلق السموات والارض
ولا خلق نفسه ليتمكن من الظلم وأعنى من هو من الفريق الذى كان
استعداد أفراده للعداوة والمخاصمة فيعترضهم بطواير المظاهر فيتوهم أنها
هكذا هي كانت الموجودات من طبيعتها وجوداً على حالها الذى رآه وهكذا
هو آخر جته الطبيعة أو القوة الفعالة أو أى وهم يتصوره المتوهمون الذين
لم يكونوا على بيئة من ربهم فتقودهم شقوتهم إلى كل طريق نهى المرشدون
عن سلوكها وليستدل أهل الفريق الآخر بالصنعة على الصانع بالنور
الذى تشرح به صدورهم للنظر والاستدلال فتحكم على كل فريق
قابليته واستعداده بسلوك الطريق التى توصله إلى مقره كما بينا ذلك فى
كتابنا المسمى نشر الاسرار البشرية من طوايا الاخلاق المحمدية
فليراجع والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

الإله المدبر الحكيم ملا الآفاق صنعا جليلة وبداع حكم ترشد الضال وتهدى الخائر إذا تنوّر واقد جعل الجوّ مجالا لحوادث تبهر العقول وتدهش الأفكار وأودع الإنسان من عجائب الخلق والخلق ما يتبصر فيه من تبصر ويتذكر فيه من تذكر ولكنه أشغل المحجوبين بألعاب دنياهم وأنساهم أنفسهم فما عرفوها على ما هي عليه بل ظنوا أن الدار دارهم وأنهم قادرون عليها وصاحب النظر منهم يزعم أنه ذو قوة موهوبة له وإرادة واختيار ليتصرف في الموجودات كما يشاء وما كان ذلك منه إلا لجهله بنفسه وغلبة الطيش والغرور عليه إذ لو كان بصير أرتأمل حال نفسه لرأى ما كفى من المسخرات في جميع الشئون ولعلم أنه لم يكن إلا كعبد للمالك أعطاه سيده الرئاسة على بعض العبيد وأعانه على ذلك بأن أباح له أن يأمر وينهى بما يُسرّه إليه ليس إلا فإن مكربه وسع له النطاق حتى يطغى وإن اختاره قيده بما يمنعه عن الانحراف والميل عناية منه به فناصر ذلك العبد لإدعواه أنه مخير لا مسير وأنه قادر على إصلاح أحوال المرؤوسين له فيكون سؤاله عند المؤاخظة عن حقيقة هذه الدعوى هكذا هو حال الناس مع ربهم ولما كانت الدعوى هي مغناطيس البلايا والابتلاء وصاحبها هو الخصم المبين ثم إن الخصم المجادل إذا جاء يوم القيامة يجادل عن نفسه لا ينفعه إلا الحجج البالغة والبراهين الدامغة فلذلك خلق الله من هذا النوع أفراداً صلحت استعداداتهم وقوا بلهم لقبول القيام بأداء حقوق الأمانة التي حملها الإنسان بعد اشفاق السموات والأرض منها وما هي إلا الحقيقة التي بينها في الكتاب الذي سبق ذكره عند تعريف حقيقة الإنسانية ثم أرسلهم إلى من شاء من ذلك النوع بعدما علمهم حقيقة ما أرسلوا

به وقواهم بتوقيفه وإرشاده وأيدهم بقوة سلطانه الذى لا يقاوم ثم حبر عليهم متابعة الهوى ليحكموا بين الناس بالحق وجعل لهم ورثة أمناء أصفياء أبرياء ليقوموا بتبليغ ما جاءت به الرسل إلى من لم تبلغهم الدعوة ومادلك إلا لتقوم حجة الله على أهل الدعوى ومرادنا بهم كل من حاد عن طريق الرسالة إما بالجحود والإنكار وإما بالجدل والعناد والإصرار فافترق الناس أنما بعد ما كانوا أمة واحدة فى اتباع الهوى غير مقيدين كالأنعام فلما قيدوا بالشرائع اختلفت مشاربهم وآراءهم وتفرقت بهم الأهواء وكل يظن أنه الناجى وما نجا منهم إلا من تابعوا الرسل قدماً بقدم أو ورتهم وما قلنا أو ورتهم إلا لأن من الورثة من أبدع بدعاً حسناً اتخذها وصلة لتثبيت العوام على الدين إذ المداوى يداوى كل مريض بما يلائم طبعه وجسمه فمن رزق الإيمان الذى معناه سلامة القلب من الأغراض والإنكار وميله إلى التصديق بذلك فهو ناج من الناجين ومن تابع هواه ووقف فى مقام الاعتراض والجدل كان من الهالكين لأن طريق الإيمان لا تقبل ظلمة الجحود والجدل ولذلك سار التابعون فى طريق السلامة والاستسلام متابعين فقابلهم الحق جل شأنه ببشاشة القبول والرضوان وإن كان فيهم من لم يحسن العمل على الوجه المطلوب ولكنه سليم القلب طاهر العقيدة من الشك والريب والضلال الذى ترك القوم هائمين فى تيه اللسانة جائلين فى ظلمات الجدل والعماء المهلك فلما وجهوا وجوههم إلى الوجه الذى لا يهلك ولا يفنى وجه الحق تبارك وتعالى لكل من أفرادهم الخطاب التى خاطب به نبيه بقوله (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فقيدوا قلوبهم وأسلمتهم بقيود الرحمة التى أنزلها الله لهم على

لسان رسوله وانطلقت ألسنة اللاهين واللاعبين من أهل الدعوى داعين إلى الأشياء الهالكة كما يشاهد المتأمل البصير رسوم ذلك في صفحات الجرائد فلا تسمع إلا صواعق جدل ولسانة صيرت قلوب الضعفاء صرعى صيحة الزيف والزندقة فسبحان من أودع في كل قلب ما أشغله وزين لكل أمة عملهم ولقد بينا حال محرري الجرائد في كتاب كشف الإزار عن مشوهات الأوزار فليراجع .

وضع الإنسان الجهول يديه على خاصرته وأمال عمامته على مقدم رأسه وقام يتخطى خطوات وراء شيطانه وهواه معجباً بنفسه مختالاً نفوراً برتبته الوجودية التي هو مسخر لشؤونها كما تسخر الحير والبغال لمشاق أعمالها فناده الحق سبحانه وتعالى على ألسنة الرسل بقوله (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) وقد كان ذلك الجهول يرى نفسه ضعيفاً من وجه وقوياً من وجه لأن ضعفه عن تأييد دعوى الاقتدار بأدنى دليل أو برهان ظاهر عليه له ولغيره إذ لا قدرة له على أن يزيد بهره قوة أو سمعه أو أى حاسة من حواسه وجارحة من جوارحه غير المدد المقدر له من قبل الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا وليس بمالك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ثم هو قوى من وجه لأنه محل ظهور الأعمال التي تبرزها القدرة العلية على يديه في كل حال وقول وعمل فلهنا سببة ضعفه أذعن بالآلوهية لمن ييده ملكوت كل شيء ولا غتراره بالقوة التي لم يدر هي من أين وإلى أين ولم يشعر بقيامها به وما ميز نفسه أهو حامل أو محمول ما عبد ربه ولا أقام الصلاة لذكره بل تخير لنفسه سيئاً لا

سلكها كما هو ظاناً أنه بذلك يرضى ربه وتقدس الحق تبارك وتعالى عن أن يرضى عن من لم يتابع الرسل في القول والحال والعمل ثم داخله الريب في أمر الساعة فلم يقدر على جمودها لما يشاهده من موت ذويه وأقرانه والبراهين التي أقامها الحق على صدق وعده ووعيده ولعدم اقتداره على تكذيب ربه تبارك وتعالى ولا كنهه استبطاً قيامها وزعم أن الأمد مديد والوقت بعيد والخراب في مرتبة المحال وليس لنا الآن في هذه الخرافات مجال ثم ناداه الحق مرة أخرى يأمره بالصوم ليرتدع عن متابعة هواه ويستكين لأوامر مولاه إذا ترفعت نفسه عن تعاطي الشهوات ثم وإلى عليه التهديد وزجر الوعيد فإذا هو على حاله ظاناً أن الصوم لا ينبغي إلا للأجلاف الذين ماتهم ذبت نفوسهم وأما هو فانه قداسة كمل زايا التهذيب حيث لم يدر أن أدنى مخالفة تصدر من العبد تدل على أنه غير مهذب إذ الإنسان كلما تكامل أدبه تباعد عن المخالفة وهش إلى أداء ما يؤمر به من قبل سيده فقام الحق يذكره بحال من كان قبله من الأمم الذين هلكوا بأسباب صغيرة ليعلم أن العزة الإلهية والحضرة العلمية لا تقبل إلا أهل الآذواق والآداب الذين لا تفوتهم الدقائق وما زال يخاطبه بما يشعر بالتوبيخ وهو لا إحساس له وكم قال لمن هذا حالهم أفلا تعقلون أفلا تبصرون وهم لا يفقهون لظهم أن الخطاب موجه لعبدة الاوثان ليس إلا وما هو إلا خطاب عام ليعلم كل عبد حاله ومزلاته ويتخذ لنفسه سبيلاً يرقى به إلى درجة الفوز مع الفائزين وما كان الخطاب عاماً إلا ليعلم المدعى العقل أنه ليس بعاقل ومدعى الاختيار والقدرة كذلك كأن الحق تبارك وتعالى يقول له إن كنت عاقلاً قادراً مختاراً فاسلك سبيل النجاة التي

أوضحتها لك وماسلكها إلا الضعفاء المتوكلون الذين تسخر منهم وذلك بمعاونتي فأين عقلك وأين قدرتك واختيارك وأن الذين ارذبتهم هم أهل المكانة والشرف لدى كل ذلك ومعالم الارض وكل ما تقرب منه ذلك المفتون بمقتته وهو لاه ولاعب يضحك ملاً فيه حيث هو مع الصم البكم الذين لا يعقلون .

زجر الحق تبارك وتعالى أهل الدعوى بما تواترت به الآيات من تعداد النعم والرحمات التي قامت بها قوائم هذا الوجود كقوله (أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) وأخرى (أفرأيتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) والماء والنار وغير ذلك ومن البراهين كقوله (أم من هذا الذي يرزقكم أن أمسك رزقه) وما أراد بالرزق مجرد الغذاء ولكنه أراد النعم الباطنة والظاهرة التي لو فقد الإنسان إحداها لمهلك كل ذلك والجهود والعمى غالب على ذلك الجهول الذي ما أحس إلا بما تلبس وما كان ذلك إلا لحكم سابقة الاستعداد على لاحقة الامدادات والاعتبادات إن ربي على كل شيء قدير .

سئل جهول من أهل الدعوى لماذا كنت أشقى الناس حالا وما آلا أما حالا فلأنك تجهد نفسك في تدبير مالا تملكه وتطمع في إصلاح مستقبل وقت لا تدري ما الله صانع فيه وتلوم غيرك وأنت أشقى ملوم وتعيب الناس وقد ملئت عيوباً من حيث لا تشعر وتدعى غير أو صافك التي خلقك الله عليها التي هي العجز والضعف ، وأماماً لك فلا لك ما قدمت بينك وبين ربك مودة خصوصية تكون لك عنده شفيعاً بل زعمت أنك تصلح ما أفسد وتغني ما أفقر وتعز من أذله وقد سارت بك مطايا المكر والاستدراج

إلى هاوية من المقت لا قرار لها إذ جهلت أن كل ما تراه في الكون من الأعمال والأحوال والأقوال ما هو إلا مدبر محكم مرتبط بحكم خفية لا يعقلها إلا العالمون إذا فتكون يوم القيامة رهين هذه البلايا التي أحاطت بك من جميع جهاتك وأنت لا تشعر .

فما كان جواب ذلك المفتون إلا أن قال (هم بطى عبطى) .

بيان ذلك أن الله تبارك وتعالى بصفته الإله الأعظم واللوهية تستدعى ما لوهاً ليكون مهيئ غيوت الفضل وصواعق العدل وكل الإنسان هو صاحب ذلك الاستعداد لأنه الخلق الجامع والامت الواسع الذي تجمعت مواد أجزائه من سائر أجزاء الأرض التي هي أمه مختلفة استعدادات أفرادها وقوايلهم كما اختلفت أنواع نباتات وقتضت الحكمة الإلهية أن تكون البواعث غيبية والامدادات لرحموتية مختلفة اختلافاً يوافق اختلاف الاستعدادات والهمم ليس إلا ثاني تلك البواعث والامدادات إلا من طريق البطون كما ذكرنا في مبدأ الكلام .

ولما كان استعداد ذلك المسروق لا يقبل الاصرار ولا يوافق ظلمة قابليته المكشوفة بتوارد الانوار لم تتوجه اليه الامدادات الروحانية ثم تطرق ساحر مخيلته الاصرار المملكو تية بل كانت توجهات بواشمة عليه إلى عالم الاعيار وعوارض المكابرة والاصرار فاستغث عزائمه عليه إلى الاهتمام بشؤون حانه غافلاً عن عواقب مآله و مراد ما حال هنا المعشاة الذنبوية وما تحتاج اليه وتسلمط عليه الموانع والقواطع الباطنية في جملة أهله وأحواله فيشهى لذيد المطاعم وشهى الملبس وزخرفة المسكن ولا يكون ذلك إلا

إذا أجهد نفسه في السعى في تحصيله لأن أهل المجاهدات انقسموا في الازل إلى أقسام وقد جمعهم الحديث القدسي في قسمين بقوله : يا دانيال من خدمني فخدمته ومن خدمك فاستخدمته فتفرعت بمجاهداتهم إلى مالا نهاية له ولكن أهل الدنيا تفرقت بهم الأهواء فاختلفت مقاصدهم وآراءهم ، وأما أهل الآخرة فأتوجعت همهم إلا إلى مقصد واحد وهي مكانة القرب من حبيب المحبين وأنيس المقطوعين وجليس الذاكرين وإن اختلفت شؤون المجاهدات باختلاف أحوال همهم المجاهدين وتلك المجاهدات هي التي سموها طرقاً وقسموها ما بين شاذية وخلوتية ونقشبندية وغير ذلك نسبة لأهل الاجتهاد الذين وصلوا مقام الثبوت من طريق اوراثة المحمدية ومن أراد أن يعلم حالهم فيطالع أقوالهم وأعمالهم في آلفاتهم ولا حاجة لذكر أحوال أهل الدنيا بمجاهداتهم فاشأ لا تغيب عن أعين الناظرين ومسامح السامعين ولما أشغلتهم تلك المجاهدات عن أداء ما فرضه الله عليهم قصرت همهم على إرضاء فروجهم وطوهم فمكالبوا على تلك شهوات التي مآشرع الصوم إلا للتحفظ منها إذ هي أكبر قاطع وأمنع مانع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه والكلام في ذلك واسع المجال فليقتصر خوف الملأل والله يتولى الصالحين .

إن كل مجاهد من أولئك المجاهدين لذو الإمداد الإلهي وصاحب ظر وكري بدليل قواه تعالى (كلاً بمدّه هؤلاء هؤلاء من عطاء ربك) ولكن اندارق بين الفريقين أن المجاهد في دنياه يفرح لقدم موعده الربح إن كان تاجرأ ومومم الحصاد إن كان زارعاً وإدراك المطلوب إن كان مفتوناً بأى أرب

من المآرب الشهوانية غير عالم بأن قرب ذلك الموعد هو عين قرب منيته
ويتعاقب عليه الجديدان وهو لاه في سكرات اجتهداه وغفلته لا يفيق إلا
عند ضجعة الموت وقلما تدركه اليقظة إلا بعد الموت بعدما خسر الدنيا
والآخرة والمجاهد في آخرته يزججه تعاقب الليل والنهار ويحزنه فوات وقت
من أوقاته هملًا وقد فتح الله سمعه وبصره بمفاتيح التذكار والتبصرة فيحيط به
الحزن إذا نظر إلى ما يسمونه الساعة إذ يجد أن عمره قد فات منه جزء وافر
فان الدقيقة فافوقها جزء من العمر حتى إذا ما أدركه الليل بظلمته ووحشته
تذكر ظلمة القبور ووحشته فقام يبكي قائمًا لربه ساجدًا وقائمًا ينادى (ربنا ما
خلقت هذا باطلا سيجناك فقنا عذاب النار) إلى آخر الآيات . والمجاهد
الاول مكبل في قيود شهواته ساجدا في لجج غفلاته يقطع الليل مجنونًا والنهار
مفتونًا وما ربك بظلام للعبيد .

﴿ زيادة إيضاح بمثل معهود ﴾

اجتمع رجلان عند راقصة أحدهما من أهل الجد والآخر من إخوان
الجنون والهزل فأتى كل واحد منهما راقصة من أرفاد تلك الراقصة
حتى أحاط بمخيلته الجنون واضطرب حاله وأخذت شهواته تجاذبه
جسمه ليتراعى على ذلك الكفل الذي قال فيه قائلهم :

لها ردف تعلق في ضعيف وذاك الردف لي ولها ظلوم
فيلقني إذا فكرتُ فيه ويقعدها إذا همت تقوم
فأتمالك نفسه حتى خسر ماله وعقله في أيام قلائل طيشا وغرورا كما

تراه من شبان هذا الزمن المفتونين وأما ذلك الرجل النزيه الكامل فقد دهش عجباً من صنع القدرة العلية ونفذ الأقدار السماوية التي تركت ذات ذاك الجمال مسلوحة الحياء والأدب فتهتك هذا التهتك الذى جلب لها ولذويها عاراً لا يمحوه تعاقب الأعوام ثم نظر إلى هؤلاء المفتونين الذين افتنوا باهتزاز خزائنه القاذورات المنقنة فتذكر قوله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله نفاذاً أمر سلب من ذوى العقول عقولهم فأخذ منه الخوف من الله مأخذاً عظيماً الجأء إلى الفرار والبكاء فشتان ما بين حبيب قبول وعد بقبول الشهوات وأغلال المقت مكبل ومغلول (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) .

خرج ابن آدم من بطن أمه مستويًا على عرش ربته الوجودية التي لا شريك له فيها بمعنى أنه لا يشبهه ذاته ذوات ولا يستوى بأخلاقه أخلاق ولا صفات وكذلك الشئون إذ لكل امرئ منهم شأن يغنيه فلا يجد في نسل آدم من مبداء الوجود إلى مآلها نهاية له إلى القيامة متشابهين في صورة واحدة من كل الوجوه ولا متساويين في الأخلاق والصفات من كل الوجوه (ذلك تقدير العزيز العليم) ولذلك تفاضلت الرسل وتساقت عمال الآخرة وعمال الدنيا على حسب ما قدر لهم من شئون ربهم الوجودية فترى كل طفل على فطرة خاصة واستعداد خاص وقبول خاص وذلك لكمال الابداع النظامي الذي يستحيل أن ينقصه شيء لا من شئ من النقص ولا من شئ من الكمال ويسمى النقص لهواً ولعباً وأطلق على الكمال لفظ الجد ليشمل كل ساع في مطلب تلهي به عن غيره فتقوى شوكه الافتتان حتى لا يعجز عامل عن الاستدلال على صحة عمله

فيدب في قلبه ديب الغرور والافتتان من حيث لا يشعروا لكن حورة
الكمال ليست إلا في نهاية طريق المجاهدين الذين هم أهل الجدران والعمل
المشروع إذا فدعى السكال من غير هذا الطريق مفتون .

مثاله اجتمع رجلا من أهل الجدران أحدهما من محري الجدران الآخر
من سكان الخلوات المسجدية الأول لادين له والثاني مؤمن كامل فكان الأول
مستريحاً من قيود التكليف بالأوامر وسجن المفاهيم راعى جنة الاطلاق
التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اندياسين المؤمن جنة خافر
وما شهاها الجنة إلا لأنها أخرجته من قيود التكليف وأما الثاني فهو متقيد
بقيود شرعية وآداب دلمية لا يمكنه الا تمكك عنها عال من الأحوال حتى
يلقى ربه فيدخله جنته وأفى صاحب الجريدة عمره في إصلاح أمته على عمه
وكان كلما سد خرقة انفتحت منه خرقة كما قال القائل :

كم أداوى القلب قللت حيلتى كلما داويت جرحاً سال

وما أعجزه عن سد تلك الخروق إلا جهله مما تسده الخروق بدمعة
وكيف كان اتساعها وكيف يكون سدها لأن هذا أمر لا يكون إلا لله
الذى هو مالك أزمة القلوب فالمصلح الذى لم يأذن بالإصلاح من طريق
شرعية يكون هو المفسد الذى يكون إفساده أكثر من إصلاحه المصلح
المصلحون الآن على زعمهم بعضهم الشئون الدنيوية ولكنهم انسدوا
عمارة الآخرة التي هي الدار الحيوان لو كانوا يعلمون .

قام ذلك الأول يطلب الجاه والمال والافتخار بقوله وعمله فأجهده
في ذلك لتسلط البواعث القبيحة عليه واستفزازه إلى تلك المهالك بمصر من

عوامل الميكر والاستدراج الإلهي كانطلاق السنة المحجوبين بالمدح والثناء عليه في أعماله وأقواله ليأخذ بمنخقة الغرور إلى حيث يشاء الله ثم طاش عقله فهجر كل المناسك الدينية وقطع آماد عمره في ذلك المطلب فلما جاءه أجله وهو غافل ورأى ملائكة العذاب نصب عينيه هم بأن يصلح ما بينه وبينهم لتحويل حالة الغضب والانتقام منهم إلى حالة الرحمة فناداه لسان حاله وهم يسخرون منه :

هلكت لعمرك فيما أدعيت فهلا استرحمت وكنت الخمول
تزاحم ربك في ملكه وأنت الضعيف وهذا فضول
فليتك لما دهاك العمى تمسكت في الحال بحبل الرسول
ولكن سلكت سبيل الهوى فأضجعت للذم كباقي معجول
فلقي الله وهو عليه غضبان. والآخر اجتهد في أداء ما عليه من الواجبات الشرعية وأزادها تديلاً أوجبه على نفسه ثم لازم خلوته التي هي اعتزال الخلق بقلبه حتى وإن لازموه وأحدقوا به من كل جهاته فكان معهم ما قالوا ولكن قلبه مع ربه بمعنى أنه يراهم كل شيء. ادواصلوا وقطعوا أعطوا أو منعوا صادقوا أو عادوا والعله علم اليقين الذي لا تذهب به الشدائد أو مقلب القلوب. أحد مبلها كيفها بربدو أنه لا يمزج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو الذي يقيم العباد فيما أراد لا راد لقضائه ولا دافع لبلائه وهو في ذلك متمسك بحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مهترفاً له بالمفضل شاكر أله عملاً بالحديث القدسي عبدي لم تشكرني إذا تشكر من أجريت لك انعمة على يديه وليست هذه النعمة المعرفة أن لا انعمة الإيمان التي امنن الله على عباده في القرآن بها في قوله (وأتممت عليكم

نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) وما أراد الله تعالى بالإسلام هنا الحضارة والتمدن ولكن أراد التفويض والاستسلام فى متابعة رسوله قدماً بقدوم وما طلب ذلك الرجل ديناً إلا بالوجه الشرعى وما تناول أرزاقه إلا من يدر به متجنباً كل هزل ومجون وكل زخرفة فى أقوال وأحوال يتخللها الجنون حتى إذا آلت شمس أنواره إلى غروبها وأرادت روحانية بشريته التلاقى بمطلوبها ومحبوبها شاهد بمن حضره من الملائكة عند الاحتضار مرور البشارة وأيقن بالربح فيما اشتغل به من التجارة فانتقل من الضيق إلى السعة واستصحب عمله الصالح إلى القبر معه أولئك هم أهل الجد والكمال وهم الذين عناهم الله بقوله (من المؤمنين رجال) ذلك حكمت عليه بطنه التى لا تعصى جنودها البواعث الغيبية وهذا كان يطالبها بإقامة البرهان على صحة ما تطلبه منه فى كل قضية فكانت كلمة طلبت شهوة أجملت فى الطلب ففازا هى وهو بحسن المآب والمنقلب

رأى ذلك الرجل التزيه نفسه بعين الإزدراء والمقت فأبصر عيوبها وتحرز من شرورها فكان كلياً أكت عملاً صالحاً توهم نقصه وقام عليها باللام والزجر فهى لا تقدم على شئ حتى تزنه بالموازين التى تعلم أنه يزن ذلك العمل بها عليها وما هى إلا الموازين الشرعية فما زال على ذلك المنهج القويم حتى رقى بها إلى مقام الشرف الأعلى وترفعت عن كل نقص دنيوى وخلصت رغباتها ومقاصدها سالمة من كل ديانة وريية فلما تفرغ قلبه من تلك الشواغل ملأه الحق أسراراً وأنواراً فرأى الدنيا بالعين التى رآها بها النبى ﷺ التى يعرب عنها قوله لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح

جموعة ماسقى الكافر منها جرعة ماء ووقاهُ من تلك الخبائث والأقذار
القاهر القادر الذى نجا إبراهيم من النار .

وأما ذلك الذى حكمت عليه بطنه فكان كلما قصد مطلباً ثم أدركه
أعجب بنفسه زهواً وازدرى من ورائه من الناهجين سبيله فيتركه ويقصد
مطلباً أعلى منه طوع البواعث التى تسوقه إلى تلك المطالب ليؤدى
واجبات الشؤون التى أراد الحق اجراها على يديه فإما توصيل أرزاق
لأهلها وإما إضلال قوم مهتدين وإما وإما إلى ما لا نهاية له حيث صلح
استعداده وقبلت قابليته وتلك البواعث تتركه يتحمل المشاق والآثام
على غير فكر صائب ولا نزاه إلا شاكياً من الدنيا وأهلها ومن الزمن
وبليه حيث لم يدر من هو الذى يدير حركة الزمن وأهله على هذا الصراط
المستقيم ولو تأمل هذا المسكين حاله ببصر أرباب البصائر لرأى نفسه
مسخرأ لما يؤول به إلى شر مآل ومصير وهو مع هذا كله يدعى الكمال
ولكن الكمال من وراء ظهره يناديه ولا يسمع .

نادى السكّال فقام النقص يزجره	إذ غالب القوم أهلوه ومعره
وصاح شاكٍ فما لباه ذوا أدب	ولا تحرك للنجيدات ناصره
وكان بالبعض مغروراً فنبهه	من حالهم كل شين ظلّ ينظره
صفى لزخرف قول من أكابره	فطن فى الفعل أعمالا تناظره
وشافه أن يرى منهم أخا ثقة	عدلا يؤاخيهِ يوماً أو يوارره
فما رأى غير قوم لا خلاق لهم	قالوا ستمناك فارتدت بوارره
ليس السكّال اطلاعا يستعير به	أهلوه منها دهى الشيطان أكثره

ليس السكّال كلاماً طوع ذبذبة
ليس السكّال عبارات تُعبر عن
بل السكّال وقار زانه ثقة
والسير خلف الذى مذ جاء يرشدنا
بالذكر جاء وما فى الذكر داعية
خوف التلوث إذ شأن القذارة أن
جاء الكتاب بأعمال لها حكم
منها الصلاة ومنها الصوم هل سقطت
صام الأفاضل شهر الصوم وانسكبت

دموعهم لشهود است تحضره
إلا الذى كاتب الأوزار يحصره
ما تشتهيه إلا نهى تحاذره
على الفواحش ذاء الكبير يحبره
يا من تصاغر والدنيا تكبره
دعوا للصوم لولا الأم تزجره
قضيتها فى هوى هو تحامر
هل أنت تدرى متى يأتيك آخره
مشاهد البعاش منمن ليس يعذره
أضعت أمراً إله العرش أمره
وتنتمى لطريق أنت هاجره
إن حلّ فى القلب إيمان ينوره
وأنت ساء ولاه غير مرتكب
أطعت بطنك كالأنعام تطعمها
وما لسانك لاه عن بذائنه
لهم بطنك ما لاحظت عاقبة
هل أنت طفل وكم طفل تجاذبه
وأنت تأبى صيام الشهر من سنة
ماتت وفاتت وفات العمر يقبها
يا حصرة المفطر المبطلون حين يرى
يا عبد سوء أطاع المؤمنون وقد
هل تدعى دعوة الإيمان كاذبة
هل ينفع المرء إيمان بلا عمل

فستجيب له الأعضاء عاملة
 وهل سمعت بدين لا فروض به
 وهل تميز منمن لا خلاق لهم
 أم يافتي إن تركت الصوم مبتدعاً
 لا بل يقال بطين سافل شره
 لو كنت ذا عاهة أفضت لمخمصه
 تالله لو عجل الله العقاب لكم
 لكنه أجل البلى لموعدها

في الموقف الصعب هل يا عبد تشكره

وشرع الصوم تطهيراً وتزكية
 ماذا على الله إن صام الخلاق أو
 وهل ترى الصوم إلا فرط مرحمة
 أهل الكمال لهم في الصوم مصلحة
 لكنما القوم تاهوا في غوايتهم
 كل يقول مقالات تقدمه
 من كان يؤمن أن الله موجوده
 ماعذره في المعاصي والتهاون في ال
 فلا تلقني إذا لم ألتزم أدبي
 وإن تكن عاقلاً ذا حكمة فطناً
 فالجد مجدان مجده كل قارعة
 كالمزل والموت والفعل الذميمة وما

لمن على النفس والشیطان ينصره
 إن أفطروا أترى ضداً يعيره
 يهدي لها العبد فضلائم يأجره
 تخفى على من له بطن تباكره
 عن كل رشد ظهور الدين يظهره
 المجد لكن مساويه تؤخره
 وأن طه بأمر الدين مخبره
 أمر الذي آى مولانا تكرره
 دعنى أوبخ وغداً دأبه الشره
 اصفع بنعلك عبد السوء تجهزه
 تذود عنه موافيه وتهره
 دارت ليعتبر اللاهى دوائر

ومجد أهل التقي مجدٌ لو اجتمعت
 مجدٌ بآفاق دين الله مطلعته
 يرق بأهليه للعليا فيقدم
 فيا بطين ومن تدعوه شهوته
 أسأت بالرسول ظناً وار تكنت على
 شهر شريف وفرض ليس بمحمده
 فاسلك سبيل رجال حالهم حسنٌ
 ودع مناهج من يردى تلوثهم
 هم يدعون صلاحاً والفساد بهم
 لا أصلح الله حال المفسدين ولا
 زلازل الكون لا يرتج منبره
 وفي سماء التداني سار نيره
 في مقعد جلّ عن وهمي تصوّره
 أن يمحض شهر التهاني وهو مفعاره
 قول الذي كل دين ظل يزجره
 إلا الذي كل ذى ذوق يكفره
 ووصفهم في الكتاب الحق ذا كره
 إن التلوث لا تربو متاجره
 كما يرى من يرى قد شدّ منزره
 بمبغض الدين يوماً سرّاً زانه

والله على كل شيء قدير

سنل مفطر رمضان لم لم تصم هذا الشهر الذى لا يأتىك إلا فى كل
 عام مرة وما كلفت فيه بشيء شاق فإنك فى كل أيام الشهور لا تأكل
 إلا غدواً وغشياً وهما فى هذا الشهر وإن تغيرت مواعيد التعاطى وقد
 أباح لك الله تناول ما تشتهيه فى ذلك الليل الطويل منه إذا فلامه لمخالفتك
 الأوامر الإلهية التى لا يضرك اتباعها سيما وأن مخالفة أهل ملتك
 ووطنك فى أعمالهم لا تعد من الوفاء فلماذا لم تتخلق بأخلاق الرجال فى
 مسابقة أهل دينك إلى مقاصدهم الخيرية فقال إن هم بطنى عبطنى

بيان ذلك

يظهر الهلال فى أوّل ليلة من رمضان فينادى منادى الحق تبارك

و تعالی یا أمة محمد (کتب علیکم الصیام کما کتب علی الذین من قبلکم
لعلکم تتقون) و هذا النداء ما خفی صوته و لاضاع أثره و خبره و لا
یضیع مادام القرآن یتلى و لیکن له إشارة کالعلم متى رفعت لباه أهله عند
رؤية تلك الإشارة ألا وهی الهلال فترأى أمة محمد صلى الله علیه وسلم بذلك
النداء إذ هو نداء اعتناء و محبة و یهرعون إلى الاجابة بالقلبية و العمل و أعنى
بأمة محمد صلى الله علیه وسلم المؤمنین الذین شرح الله صدورهم للإسلام و إن
كانوا من العوام الذین لا علم عندهم لأنهم أهل التصدیق أهل الاذعان أهل
الوفاء أهل الخضوع الأوامر أهل الانکسار فیهما هدون الله على إجابة ذلك
النداء من أول ليلة إلى آخر يوم من الشهر و لیکن منهم المحسن أى الذی
أتى بعمله على الوجه المطلوب ایجنى ثمرته و تظهر فی عوالم بشریته آثار
حکمته إذا كانت حکمة الصوم المطلوبة من العوام أن ینسى الرذیل رذائله
و یرتفع ذو الفضل إلى درجة أرقى مما کان علیها فی الفضائل متحصنا من
الشیطان بهذه الوقایة الربانیة فمکانه عند التوبة عاهد ربه أنه لا یترکه
و یتبع الشیطان و معنی أنه لا یترک ربه أنه لا ینسأه بالملاهی إذ الإنسان متى
هجر شهوات البطن و الفرج و حبس لسانه عن فحش الکلام و لغوه لا یتوجه
إلا إلى الوجهة المطلوبة وهی القرب من الله بالمراقبة المستدیمة هذه هی
حکمة الصیام للعامة وهی تحتاج لفکر سلیم یتعملها بحال ثابت بمعنی أن
الصائم لا یجوع و یظلم نهاراً و لیکنه یتعد لإذباب ذلك الجوع و الظلم عند
الافطار بكل لذیذ یراه فی یومه فیکون انفاقه فی شهره هذا یقاوم ما ینفقه
فی سنته لتحکم بطنه علیه فیکون مثله مع نفسه کمثل مربی کلب الصید یمسکه
حتى إذا رأى الصید أطلق سراحه بل المطلوب أن یتناول کلباً قدم له من

الطعام ثم يتحرز من الامتلاء ليقوى على العبادة الليلية من صلاة وذكر وتسييح وبكاء ودعاء واستغفار واستحضار الموت والمواقف الطويل والحساب الدقيق وغير ذلك مما لو عليه الانسان علم اليقين ما أكل طعاماً على شهوة قط هذا هو المطلوب من صيام العوام وأما الخواص فخالفهم قد عبر عن بعضه تابعهم بقوله

أصوم عن الاغيار قطعاً وذكركم سحور اصومى فى الهوى وفطور
إذ القوم مبرأون من متابعة الشهوات الهوائية فى جميع أحوالهم
وأعمالهم وأحوالهم فلا يزيدهم الصوم حالاً فى أخلاقهم بل ربما كان
الفطر فى غير الشهر المفروض عند بعضهم من الاعمال التى يهذبون بها
نفوسهم إذا شئوا منها رائحة الإعوجاج كما حكى عن بعض الصالحين
وأظنه أبو يزيد البسطامى أنه دخل بلدة فهرعت إلى تعظيمه اسماعهم
إنه صوام وقوام فلما أقبلوا عليه وكان صائماً فرحت نفسه بذلك
الاقبال فطلب رغيماً وأخذ يأكل بحالة حولت عقائد غالبهم عنه إلى
ضد ما كانوا يعتقدون وما ذلك إلا لأنهم رضى الله عنهم لا يرون فتنة
أشد من إقبال الخلق عليهم ولا يرون غروراً أكبر من غرور النفس
بحالها التى هى عليه لعلمهم ان الاحوال لا تدوم

وقد استعاذ من ذلك الاستاذ سيدى على وفا بقوله نعوذ بإقبالك
من صدك نعوذ بعطائك من منعك نعوذ بك من وحشة أنس المقام
بالضم فى المقام بالفتح ونعوذ بك من غرور النفس بالحال مراده من
وحشة الأنس ركون السالك إلى أى مقام سلكه من مقامات القرب
لأن ذلك الركون يتممه من التقدم الذى هو التنافس المذكور فى قوله

تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) الذين هم أهل المجاهدات
 الآخروية إذ الركون إلى الراحة مانع من موانع الجِد في العمل الآخروى
 ومراده بمرور النفس بالاحوال أنها إذا رأت اقبال الخلق عليها
 بالقبول اطمأنت وظنت أن ذلك نعمة من الله وكرامة ولكن القلوب
 منهم يخافون الخدعة الإلهية التي تترتب على مخادعة النفوس لرهبها
 لأنهم دائماً يهتمون أنفسهم وقد قال الله تعالى في حق قوم (يخادعون
 الله وهو خادعهم) فلذلك لا يأمنون مكره لعلهم بسرعة تقلب القلوب
 وسرعة حلول المقادير بما لم يكن في الحسبان كما قال ابن عطاء الله في
 مناجاته الهى أن إختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعاً لعبادك
 العارفين بك عن السكون إلى عطاء والياس منك في بلاء فمن كان هذا حاله
 يكون في صوم دائم وأن أفطرو وفي ذكر وإن كان صامتاً وفي وجل وإن كان
 ضاحكاً وإن للقوم لحال في هذا الشهر فوق تصور أمثالنا إذ لا يعرف العارف
 إلا العارف وليرجع إلى مانحن بصدد فنقول وأما من جاذبه شيطانه
 إيمانه من الذين انتموا إلى هذه الامة مجرداً انتماؤه غلبته نفسه لضعف يقينه
 وقوة المرض في قلبه فأولئك الذين انقسموا أقساماً أحدها الاستعدادات
 والقوالب فمنهم من خالف طريق العوام التي ذكرناها في صومهم إلى طريق أخرى
 مع عليه بأنه مخالف للحكمة المطلوبة وأنه ما حصل في صومه شيئاً منها حصله
 الفضلاء فتراه يتغاضب حيث لا غضب لانه صائم ويعلم مع اللاعبين لانه
 صائم وينام عن الصلاة في الغداة لانه صائم ويجمع أنواع الملاذ عند الافطار
 لانه صائم ويقضى ليله في الزيارات والمسامرات لانه صائم ويستعمل مبعديات
 ربما لم يكن يستعملها قبل صيامه لانه صائم حتى أنك ترى أقواماً من الجهلاء

يستعدون للعب قبل شهر الصوم باستحضار عدده كما يستحضر المجاهد
أسلحته وهؤلاء هم الذين لا ينظر الله اليهم ولا يركيهم وما هم من الأمة في شيء .
(ومنهم)

الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . إذ العمل هو
أحد الأركان التي عرف العلماء الإيمان بها لأنه إقرار باللسان وتصديق
بالقلب وعمل بالجوارح . فمن ادعى الإيمان بلسانه وزعم التصديق القلبي
ولم يعمل بعمل أهل الإيمان كانت دعواه لا دليل لها ولا برهان فتكون
باطلة عند الله وعند عبيده لأن العبد الذي لم يعمل أعمال العبيد لا يعامل
معاملة العبيد المخلصين سيما وقد ذكرنا أن الأعمال تطهر شرعى وتزكية
ربانية ومن لم يطهره الشرع ولا يزكيه الله لا يتزكى حتى وإن كان أهمر
الناس عملا للدنيا وأفصحهم مقالا وأغزهم علما وأكثرهم فيها إصلاحا ،
فقد يجعل الله صلاح الدنيا على يد البار والفاجر ورب كافر يعمل في
إصلاح الدنيا فوق ما تعمله الاتقياء وذلك لأن الله خصص لكل عامل
عملا ولكل عمل عاملا بتخصيص أذى على حسب القوابل والاستعدادات
لأن الحكمة لا تضع شيئا في غير محله ولا غرض لله في أعماله وتخصيصاته
وهو سبحانه وتعالى لا يستعمل عباده في الأعمال دنيوية كانت أو
أخروية ولا يمدحهم بالامدادات والبواعث إلا بمقتضيات الترتيب الأذلى
الذى حكمت به سوابقهم الاستعدادية فمن كان مراداً محبواً وفق
لأعمال القرب والمحبة ومن كان على غير عناية من ربه سهلت له طرق
الاشتغالات الدنيوية والملاهي الشيطانية ومثل هذا إذا عرضت أعمال
الاتقياء بعد عمله من السيئات ويكون مردوداً عليه كما ذكرنا سابقاً .

فعلى هذا يكون العامل أقرب شئها لغير العامل الذى لم يراعى حكمة العمل
وهؤلاء هم الذين أحاطت بهم الخطايا من حيث لا يشعرون وأخذ بمنخفيهم
الشیطان إلى التهلكة وهم غافلون حيث سؤل لهم أن الفرائض الدينية
ليست ذات أهمية لأن الله غنى عنها وعن عملها ودس لهم السم فى الدسم
بتفهمهم أن الله سبحانه وتعالى لا يحب الإنسان إلا صادقاً فى المعاملات
متحاشياً أذى المخلوقات ساعياً فى مصالح الخلق ثم بعد ذلك يفعل الإنسان
ما يريد فتكون تلك الوسوس سبباً لهلاك القوم الذين فقدوا النور الإلهى
الذى به يفقهون أن الصدق فى المعاملة وكف الأذى عن الخلق والسعى فى
مصالحهم بل وكل الاعمال الخيرية ما أمر الإنسان بها ونهى عن ضدها إلا
ليكون خالصاً من الشواغل التى تشغله عن القيام بالمفروضات التى إذا أداها
على الوجه المطلوب يكون متحققاً بأوصاف عبوديته التى متى اتصف بها
استحق اقبال الحق عليه بأنواع التحف القريبة التى لا يذوق حلاوتها إلا
أرباب الأذواق السليمة وما شرع الدين إلا لذلك .

وأما حسن المعاملة وكف الأذى والسعى فى المصالح فتلك أمور قد
تكون من الحشرات وغالب الحيوانات أكثر منها من بنى آدم إلهاماً من
الله ورحمة وقد تكون من الإنسان بواسطة سيطرة أرباب السياسة
العادلين عليه ككسرى أنوشروان مثلاً أو فيكتور ياولو كان الدين قاصراً
على ذلك لما كان لله أن يرسل رسوله إلا لأهل الأذى فلو كان لذلك
المفتنون نظراً واسماً مستنيراً لأدرك ما وراء الجدران فيعلم حكمته
إرسال الرسل ولكن زخارف الدنيا حالت بينه وبين معالم الآخرة
والله لا يهدى القوم الظالمين .

ومنه من يقول إن الله جعل إسقاط الصوم كفارات وما على من
 شيء في الإفطار إذا كفرت وأسقطت الصوم عنى فيكون مثله كمثل
 جندي لملك من الملوك أمر جنوده أن يقربوا له قرباناً عينته لهم ليعلم
 صدقهم في محبته لاحتياجه لذلك القربان ولیمتازوا من بعضهم فيتحقق
 الطائع بطاعته والعاصي بمعصيته حتى تسقط دعوى مدعيهم الطاعة بغير
 رهان واضح ثم قرر للضعيف منهم قراراً جعل عليه فيه جعلاً خفيفاً
 يأتي به في نظير ذلك القربان فلما جاء موعد جزاء تلك الأعمال أخذ ذلك
 الملك ينظر في أحوال القوم فاذا منهم من قرَّب قربانه على محبة وصدق
 وفاء وسلامة قلب وحسن ظن وإخلاص نية وصفاء مودة ومنهم من
 قرَّبه حياءً وجلاً على غير رضا قلبي ومنهم من قرَّبه بصفاء قلب وصدق
 نية ولكنه لم يأت به متقناً حسناً كما جاء به الأولون ومنهم من أتى بالجعل
 لعدم قدرته على القربان أو قدر عليه ولكنه أشغله عنه مطبوعات للملك
 أهم من ذلك القربان ومنهم من جاء بذلك الجعل حياءً وجلاً كما مثاله من
 أهل القربان ومنهم من أتى به قهراً على غير رضا قلبي فما كان من الملك
 إلا أن قبل المخلصين أهل الصدق والوفاء من الفريقين ورد الذين كرموا
 بغيرهم لم يثابروا خيراً . هكذا حال من ذكرناه مع ربه في إسقاط الصوم
 بالكفارة يطلع الله أولاً على قلبه وما فيه من المحبة والرغبة والتشوق
 إلى خدمته ثم ينظر إلى كفارته من أين جمعها وكيف أتتها فإن صادفت
 وجوه القول قبلت وإلا رُدَّت على صاحبها ومعنى الرد أنها تضبط
 في دفاتر السببثات حتى إذا مارأها في صحيفته يوم القيامة يحيط به الخجل
 والوجع لقدومه على التقرب إلى مدارك العقلاء بغير أدب ولأنه لم

يتحفظ من رذائل البشرية إذ لا يستوى مقدم الهدية للملك وهو مستصغرها ومستصغر^١ لنفسه خائفاً من الرد وجلال من الاعراض والصد وهو يتمنى رضا الملك وقبولها لتشمله عواطف رحماته مع علمه بأنه غنى عنها وأنها من فضلات إحسانه وبين الذى أرسل هديته مع تابعه غير مبالٍ بالقبول والرد لارغباً فى القرب ولا راهباً من البعد ولكنه مجرد إذعان بأنه من رعايا الملك فافهم تسعد وما سأل الأبرار التوفيق للسداد والرشاد من الله لإلهذه النكته الفارقة بين العماة وبعضهم والله يتولى الصالحين يخرج الذين آمنوا من ظلمات الغرور والافتتان إلى نور الادب والاحسان ويذر الظالمين مع الشياطين حول جهنم جثياً ، ثم إن الله تعالى لينظر فى أعمال أهل الكفارات التى عملوها فى الآفات التى صام فيها الصائمون وقام فيها القائمون ليجازى كل عامل بعمله فتكون خطيئة الذين كفروا بتشديد الماء عن صومهم مضاعفة فى العقاب لأنهم خالفوا أمراً وارتكبوا نهياً

فتأمل المارق الذى يكون بين رجب معدم دخول لاشهر فله ولاذكري صام يومه حق صيام وقام ليله حق القيام مع تكبده مشاق الهموم المعاشية وقضى شهره على هذا الحال ثم جاء فى يوم العيد باكياً لأنه ما علم هل هو من المقبولين الناجين أم من المطرودين الهالكين وبين أمير كثير المال عظيم الجاه أفطر بهاره وقطع آماد ليلته فى تخيل أهله وعظمته عند الاحتمالات والمجامع الليلية وأنفق فى الكفارات ما لا عظم أمر به وهو عالم أنه جاء بما يليق بمقامه وأهبة مجده ليقال أن فلاناً فعل كذا فهل إذا أوكل الله أمر معاملتهم بعد الجزاء إليك ماذا تقول وماذا تفعل أظن أن الفرق لا يحتاج

إلى بيان والحكم على كل منهما غير متوقف على تروى ولا نظر وانك الآن لتعلم أيهما أرجح منزلة عند الله وأقرب تمكيناً أو أوفر عقلاً وأحسن أدباً وأكمل إيماناً ولهذا الملاحظات أجهد الأنبياء والرسل نفوسهم في تعليم أممهم لأن البلاغ سهل ولكن التأديب والتعذيب شاق سيما تأديب الأغنياء الذين فقدوا مزايا الإنسانية التي أوصحنها في كتاب نشر الاسرار البشرية .
ومنهم أهل الشك المذبذبين الذين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أولئك الذين قال الله فيهم (وإذا أقومكم قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) ومعنى الله يستهزئ بهم أنه لا يبالي بهم في أى واد هلكوا لأنه لو نظر إليهم بعين العناية لوفقههم كما ينظر الملك أو الأمير في أحوال قوم وفدوا عليه فن علم منه صدق المحبة وحسن الادب وكمال الوقار أجلسه في محل التكريم ومن رأى منه الوقاحة تركه في اسطبل الدواب كذلك حال القوم مع ربهم من كان منهم سليم النية طاهر الطوية قربه وأرشده ووفقه ومن كان مع الشياطين تركه وشهوته فترى من هذا حاله يدعى الصوم حتى إذا خلا بالخمار سكر وتناول ما يشتهى والله رقيب عليه من حيث لا يشعر ومعالم الأرض تلعبه وهو لا يسمع والشياطين تهضك منه وهو لا يبصر أولئك هم الصم البكم العمى الذين لا يعقلون أولئك كالانعام بل هم أضل .

(ومنهم)

من أفطر جهاراً واستحى أن يصوم لكيلا يسخر منه قرناء السوء الذين نهى الله عن مصاحبتهم وقال ابن عطاء الله مشيراً لهم لا تصحب من لا ينفعك

حاله ولا يدلك على الله مقاله سيما في هذا الزمن الذي قويت فيه عصاة
الاشرار لزعمهم أن الدين هو مجرد الحضارة والتقدم وما لهذين
الوصفين من نتيجة إلا الصدق في المعاملة وكف الأذى كما ذكرنا سابقاً
ولأنها لفتنة يضل الله بهما من يشاء من عباده ويهدي من يشاء فكان إباءاً من
هذا حالهم عن متابعة المتدينين من السلف الصالح كإباء ابن جهل عن
متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمثال هؤلاء داخلون في حوزة
قوله تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس
الهاد) وليس في هذا الخطاب قسوة يدعيها المدعى المجادل لا بالم قصد
معيناً مقصوداً ولكن بحكاية أحوال انتشرت شرورها وقد قال تعالى
(إنما المؤمنون إخوة) فمن كان أخاً صادقاً حمل هذا على محمل حسن
وجعله من قبيل الغيرة الدبيلة على الرابطة الأخوية فتقبل كلام أخيه
وتحاله ببشاشة القبول ومن لم يكن أخاً فلا حاجة لنا به ولا إلى رضى
ألم سنخط ولكننا نقدم لإخوان الوطنية نصيحة التشريع اتى أمرها الله
سبحانه وتعالى ضمن قوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فأقول إن من أرذل الرذائل هجر مناسك
الدين لكل من انتمى إلى دين من الأديان السماوية إذ الرجا العقل
ذو الهمة كامل المروءة في أمر دينه على حالين إما منكر مكذب وإمام صدق
معترف فالمنكر المكذب لا ينبغي له الاتهام إلى الدين الذي جحد
وأنكره بحال من الأحوال لأن هذا هو النفاق والذبذبة بعينها لا يتصف
بهما لا عقل له ولا مروءة ولا همة ومن هذا حاله لا يوجه له
خطاب ولا يستلقت برقيق عتاب والمصدق المعترف لا يمنعه من القيام

يوجب حقوق ما اعترف به إلا ضعف الهمة وخسة الطبع ودناءة
النفس وموت المروءة وأى عاقل يرضى أن تكون فيه هذه الاوصاف
أو أحدها فالواجب الآن على كل ذى عقل ومروءة أن ينهى نفسه
وأهله ومن أحب من جيرانه وإخوانه وأهل وطنه عن هجر الدين الذى
كلنا وكل عالم به يعترف أنه طريق النجاة ومسلك الفوز ومسقط الرحمة
ومنبع الفضل وكال الشرف وعلى كل من وافاه رمضان الشريف وهو
صحيح البنية سليم العقل متمسك بدينه أن لا يضيع أيامه فيما لا طائل تحته
وأن يتحرز فيه عن كل رذيلة توجب المقت الإلهى وأن يتخلق فيه بأخلاق
العبد المخلصين أهل وعسى أن تنفوس ربوة فوادة شجرة اليقين الحق
والإيمان الصدق ويسلك مسلك الجساءة فى هذه الايام القلائل
والحياة القصيرة التى تمر بنا مرة السحاب بالمطر حتى إذا تساقط كانت
كان لم تكن .

و عجبا لابن آدم يدعى السكك من حيث لا يدرك ما هو السكك إذ
غاية الكلام أن يكون العبد عند سبده حجاب الدعوة مسموع الكلمة مقبول
الشعاعة لو أقسم على الله لأمره وبدايته أن يرى نفسه أحقر الناس منزلة
وأضعفهم عملا وأكثرهم مخالفة وأبعدهم منه تقربا وأكثرهم خطايا وأحقهم
بالمقت وأجهلهم بنفسه وربه وأن يتقبح السالكين الذين سلكوا سبل النجاة
باعتها آثارهم فكما رأى دعاء دعا به وكما سمع بقرعة جد فى عملها ويتمهد
مناق الصالحين وأوراد المجددين وبمشبه بأكار الارار المقربين ومن
ادعى حالا للكمال غير ذلك فهو مجهول لا يقتدى به . وغاية النقص أن
يكون من لا يظن الله إليهم الذين أسقطتهم من أعين الله . دائلهم البشرية

والرذائل التي تسقط العبد من أعين الله معلومة منها قوله ﷺ إذا تسابت أمتي سقطت من أعين الله فمكل سباب مغتاب لعان ساقط من أعين ربه وإن كان من العظماء وأن يكون متكبراً غوراً معجباً بنفسه وأن يكون مجادلاً بذىء اللسان مخالفاً لرسول الله ﷺ في أعماله وأحواله وبدايته مخالفة التابعين والأئمة المجتهدين وطلب الدنيا رغبة فيها ورهداً في الآخرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ما أظم ابن آدم لنفسه وغيره وذلك لأنه يتبع الرخص في أمر دينه إن كان عاملاً ولا يأتي في أمر دينه إلا بالعزائم ومرادنا بالعزائم هنا الأعمال الشاقة التي لا تتحملها البغال وتراه يفترح بما حصله من تلك الاتعاب ويتباهى بما عمله من الحيل في الحصول عليه ولا يخجل إذا عمل أمر دينه بل لاشعور له بما هو الدين :

كأنه البغل إن أتعبه زمناً وجئت بالقول هز الرأس مسروراً
ما أحمل ابن آدم . جاءه الرسول بالآيات البينات وباهر المعجزات ودعاه إلى الكمال وخوفه بالعوارض المملكات وقاده بالسلاسل إلى نعم الجنات فترك أذنيه واضطجع على جنبه على خجل من المراجعة فترك الأمر في ضياع ودعة وناداه الشيطان إلى الرذائل وقال له لا تعجبني حتى تهتدي عن جميع الفضائل وتتخذني شريكاً في المال والولد ولا تفضل عني في الصحبة أحداً وذكره بالمثل المعروف عند العوام من لم يدخل النار في محبة خليله وإلا فدخل الجنة عليه حرام ، ومع عليه بأن هذا المثل ما كان إلا تشخيصاً لما فعله الخليل الجليل مع مولاه فحفظه من مكر الماكرين ونجاه .

أغفلته غرته عن الرشد والصواب وقام يقرع من جهنم في طريق الملائكة
الابواب طائعا للشيطان وجنوده مختاراً غافلاً عن قوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا اقوا أنفسكم وأهليكم نارا)

ما الالم ابن آدم تترادف عليه النعم الإلهية ترادف الأمطار وتكلام
القدرة العلية آناء الليل وأطراف النهار ويصنع معه ولاد الصنع الجميل
ويعامله بلطائف اللطف الجميل وهو كلما وصل إليه إحسان تمرّد وكلما
دعاه لمصافاته تشرد مغروراً بنفسه محجوباً بحسه ويأبته إذا أصابته المصيبة
تجلد جلادة الشجعان أو إذا ضرب بسوط من المراض تبلد بلادة الأغبياء
من العبدان لابل بأصرع ما يرى ينادى مولاه عند الشدائد كأنه من الذين
تعهدوا في محبته جميع المعالم والمعاهد غير خجل منها على عاتقه من الأوزار
ولا منكر أنه ربما كان محسوباً في دفاتر أهل النار فما أسمع هذا الطبع
الرزيل وما أكرم مولانا البر المطوف الجميل .

واعجباً لمن أفطر رمضان كيف لا يخجل في موسم العيد من مصالحة
الصائمين أم كيف يتجمل بالملابس ويجاس متطيباً لمعاينة الزائرين
وكيف يقال له كل عام وأنتم بخير وهو ما تعرض إلا للشر والضير أي خير
يرجى لمن أصر على المعصية شهراً كاملاً مخالفاً لأمر ربه أي طمع هذا إذا لم
يقب في الإقالة من جنائبه وذنبه . تالله إن هذا هو الطمع الشيطاني
والجهل والظنمان الحيواني وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

يا ابن آدم تفطر رمضان حياء من محبوبتك الزانية أن تعلم أنك صائم
فتزدربك أو تهجرك ولا تتقن خزيك بين يدي الله يوم القيامة ،

يا ابن آدم مهما كنت وكيفما تكون ما أنت إلا العبد الدليل المقهور
 للقدر العلية الدائر في دائرة الإرادة الصمدانية لا تملك لنفسك من
 الله شيئاً لا قوة لك تقاوم بطش القوى المتين ولا باصر ينصرك إذا ما
 أخذك مولاك يوم الدين وهذه أيام الفسحة والسعة وما بعد ما يامسكين
 إلا الغموم والآلام الموجهة فلا تتم في شدة الهجير تحت هذا نطل الزائل
 ولا تغتر بزخرفة دنياك في أيامك هذه القلائل ونحمر من العرور فانه سهامك
 الإنسان ولا تنس يا عبد السوء ما لمولاك عليك من الإحسان وجذب
 نفسك أعمال اللاهين لكيلا تكون عند حلول العقاب من تادمين
 وأحسن أعمالك فإن رحمة الله قريب من المحسنين واطعني يا أحمى فإني
 لك من الناصحين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(تمة)

جاءت جواباً لسائل يقول ما هي الأسباب التي جعلها حذر
 خيار الأمة المحمدية تابعيهم من مخالطة المتقدمين من علماء السوء
 ونهوهم عن مطالعة مؤلفاتهم وماذا يعمون سمعها وكساراً وما هي الوجهة
 لهم في الحكم عليهم بالكفر وما الداعي لمعاداة الوافدين لطائفتين
 وكيف كانت نسبة الجنون لطائفة الصوفية من الطائفة الأخرى أما
 نسبة الجنون لهذه الطائفة يا هذا التي لا ريب في أن أهلها هم خيار
 الأمة وهم المؤمنون حمداً فما كانت إلا من طريق الوراثة
 من الناس والمنسوبة إليه وإنها هي الغاية التي أشار إليها النبي صلى
 الله عليه وسلم بقوله أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا بجنون فلا

مضر لكل ذا كر يكتر من ذكر ربه من هذه النسبة لقوله ﷺ مامن مؤمن إلا له جار يؤذيه إلى يوم القيامة إذ لا نسبة بين البار والفاجر ومتى فقدت النسبة وجدت العداوة ولا يتولد الأذى إلا عن عداوة ولما كان أتقياء الأمة هم ورثة النبي ﷺ وأعداؤهم هم ورثة أعدائه كل ورث صاحبه في أعماله وأقواله وأحواله ثبتت نسبة الجنون لتلك الطائفة في عقول أولئك السفهاء من طريق تلك الوراثة كما نطق بها القرآن الحكيم في غير موضع ونفاها الحق سبحانه وتعالى بقوله وما صاحبكم بمجنون فكانت تلك النسبة تقع عند من نسبت إليه من الصوفية موقع البشري وأما السبب في نهى القوم أتباعهم عن ما ذكرته فاهو إلا أن السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم واكرمنا بمتابعتهم كانوا على قدم ثابت في متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ديدنهم الدأب على شدة التدقيق وقوة التحقيق في تلك المتابعة وراء المنقول قولاً وعملاً وحالاً من الآثار النبوية للتحفظ من ورطات المعقول الذى مشأه التصور والإدراك الحسى الذى يحتمل الخطأ والصواب خوف الانحراف والميل عن الطريق التى جاء الإرشاد إليها النبى صلى الله عليه وسلم وتمم ومواصفاتها لساكنها من القوم الذين اختارهم الله واجتباهم لخدمته وأعنى بالخدمة الائتمار بالأوامر واجتناب المناهى مع بذل الجهد فى الدأب على أعمال القرب التى يلزم الإنسان بها نفسه من الطريق الودية ليحظى بمرتبة القرب ويصوم بعناية المحبة كما تفعل العبيد مع ملوكهم ولا يزال العبد كذلك حتى يتحقق بالاحوال الكمالية التى لا تكون من طريق العمل وتأتى من مواهب الإحسان الربانى وما كان

لذلك التحفظ الذى كان عليه القوم من سبب الإلصاق بالأوامر الإلهية وتواتر الأحاديث النبوية بالنهى عن متابعة الهوى الذى ظن السفهاء أنه قاصر على الميل إلى الشهوات البدنية ومعاينة المحرمات .

ولكن السادة الصوفية لا يعدون من هذا حاله إلا من الأنعام وأنه من إخوان الفسوق لعلمهم أن الله كم نهى أنبياءه عن متابعة الهوى مع علمه أنهم مبرأون من تعاطى المحرمات والميل للشهوات فأنهاهم إلا عن الخوض فيما لا يرشدهم إليه من قول وفعل وعمل ولذلك قال مادحا لنبيه (وما ينطق عن الهوى) فتحقق السادة الصوفية من هذا الطريق أن النهى عن الهوى لا يشير إلا إلى عدم الانحراف عن طريق الاستقامة التى أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تبارك وتعالى (فاستقم كما أمرت) فتيقنوا أنه لا طريق أنجيى للسالك إلى ربه من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اقتفوا آثاره إذ لا مجال للعقل فيما حجر الله على المؤمنين الانحراف عنه فلذلك كان ذلك التحفظ رغبة فى النجاة والفوز . ثم أنهم لما علموا أن وصف فيلسوف كان فى ذلك الزمن بل وفى كل زمن علماً على كل ذى ذكاء وفطنة وفكر سائح وإدراك سريع استعمله فى مطالعة المؤلفات التاريخية والفنون المنطقية والعلوم الرياضية التى لا يميل إليها المائل إلا ليصل بتحصيلها إلى مطالب زائلة وأغراض عاطلة وغايات باطلة تزول بزواله ولربما زایلته قبل بلوغ آماله ، والقوم قد تحققوا بحق اليقين ونور الحكمة التى وهبها الله لهم أن هذه المطالب لا يركن إليها إلا طلاب الجيفة التى أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الدنيا جيفة وطلابها كلاب فلم تتجه همهم بوجه من

الوجه إلى تلك المقاصد وكانوا لا عناية لهم بتلك الفنون ولا لتلك الأغراض التي أجهد نفسه في تحصيلها ذلك الفيلسوف التي ما زالت أفكاره متطاولة الاعناق وبصيرته ممتدة الأماق إلى العلم بالمعلومات غافلا عن مدارك الأوابين حتى تجول في ميادين المباحث العقلية ذات الشعب التي لا يجمع أطرافها إلا وادى التيه والحيرة حيث تمرح الشياطين وتهلك النفوس وتعمى البصائر عن طريق النجاة حيث لا هادي ولا مرشد (ومن يضلل الله فما له من هاد) طوع جذبات الغرور والعصيان العلمي الذي أشرنا إليه في كتاب نشر الاسرار البشرية عند ذكر الموانع الأربع لأن سعة الاحاطة بالمعلومات من طريق العلوم النظرية تذر صاحبها حائراً لا يهتدى إلا إذا تقيد بالقيود الشرعية التي بها تنقيد شوارد الافكار وأمّارات النفوس .

ولما كان كل من هذا حاله يسمى فيلسوفاً حتى وإن كان من عبدة الاوثان أو لا إله له أو منتسباً لاي دين من الاديان نسبة مجازية وهي حال مهلكة تخرج العبد عن أوصاف عبوديته وتبعده عن طريق الاستسلام والمتابعة التي ماجاء الرسول لإبها وأشار إليها الحق سبحانه وتعالى بقوله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وما كان ذلك الخطاب إلا للقوم الذين اتبعوا أهواءهم فكانوا هم فلاسفة ذلك الزمن فلذلك مدّ أكابر السلف الصالح أبصار التأمل ووجهوا أعين البصائر ومطايها الهمم إلى البحث فيما عليه تلك الطائفة من الاعمال والاقوال والاحوال فاتبعتوا الهمم من الاحوال إلا التلبس بالمهلكات القلبية التي مانجا منها إلا القوم الذين وصفهم الله بالقلّة في قوله (وقليل من عبادى الشكور) كحجب الجاه والغنى

والكبر والاعجاب بالنفس والزهو وغير ذلك منها لا يحصى وما سمعوا من أقوالهم إلا زخرفة أباطيل حشوها بدع وضلالات تنقل بالعقل في مسارب الزيغ إلى غاية لا تدرك إلا عند أبواب جهنم وما شاهدوا من أعمالهم إلا مظاهر الرياء والتفاخر ودعوى الإصلاح مع اجتماع المفروضات الديلية وازدراء عمالها كأن لم يأت بها كتاب ولا رسول فعلم القوم من هذا كله أنهم عاملون على طريق من سلكها هجر الدين وتعرض لمقت رب العالمين لأنهم ما أسسوا بليان مذاهبهم إلا على قواعد أربع ذكرناها في كتابنا المسمى بكشف الإزار عن مشوهات الأوزار فليراجع . فلهذا السبب نهى الخيار تابعيهم عن متابعتهم لكيلا يضلوا كما ضلوا وما كانت معاويلهم التي عوتلوا عليها في نقض الأساسات الديلية إلا التظاهر بمدح الأنبياء والثناء عليهم لا لأنهم رسل الله اجتباهم واصطفاهم واختارهم وتولى تأديبهم وتهذيب أخلاقهم وأكمل نورهم وجعل محبتهم وطاعتهم مقرونة بمحبته وطاعته بل لأنهم كانوا رجالا عقلاء مصلحين كاي زعم فلاسفة الأوربيين وما ذلك إلا ليؤيدوا ما ذهبوا إليه من أن النبوة مكتسبة اكتسبها الأنبياء بأخلاق كالية وأعمال مرضية حيث لا اجتباء ولا اصطفاء وقد كانوا ينكرون الملائكة كما أنكروا الشياطين متابعة لعقولهم التي أمرها الطيش وغلبها الغرور فاذا انطرق ذلك الريب المملك إلى قلوب مغالطتهم أو سامعى أقوالهم المزخرفة بالزخارف المنطقية انسحرت تلك القلوب وتخللها الشك وظن ذووها أن كل ذي فطنة وذكاء وسعة فكر يساوى الأنبياء علماء وعملوا وحالوا وتجوز متابعتهم ولو إلى جهنم وبئس القرار ولربما كان المتعمقون في الضلال منهم

يتطاولون إلى ازدراء الأئمة المجتهدين ويعددون لهم بعض هفوات وإن كانت مكذوبة ايظن الواقف عليها أنها نقائص ويتوهم أن ذلك القادح المنتقد مع افتنانه وغروره أوسع منهم إلى الهداية بجالا وأثبت منهم على الحق حالا ومقالا من حيث لا يخطر بباله أن الأئمة رضى الله عنهم ماجاؤا إلا بما عمل به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ولو عمل عامل بمعشار ماجاؤا به لنجا فلا يكون المجتهد الآن بعدهم إلا أخا زينغ وتطفل أو مفسداً تسرب بتمويهاته إلى صد القلوب عن معتقداتها الدينية فتهلك تلك القلوب بذلك الزينغ كما يهلك المملسوع بسم الثعبان إذ الله سبحانه وتعالى ما جعلهم أضداداً لخيار خلقه إلا لهذه الحكمة لما سبق في علمه وحكمته أنه لا يخلق شيئاً من الأشياء نافعاً إلا ويخلق في مقابلته ضاراً يقاومه ليفعل عند كل منهما ما يريد بخلقهم فان حكمة وضع الأسباب ثابتة إلى انقراض الدنيا فلا تخلوا من ضالين ولا مرشدين حتى تقوم الساعة وكما أنه جعل للأبدان حشرات تؤذيها عند تحكّم القضاء المقدور كذلك جعل للقلوب آفات تميتهن والأسرار حشرات تهلكهن لأن السمكيات التي يلقينها الزائغ الذي تلقى سحر البيان إلى مسامع ضعيف الإيمان تفعل بقلبه ما لا تفعله سموم الحشرات ولما كان سالك طريق القوم عند بدايته ربما يستعين عليه الشيطان بهؤلاء الجنود لذلك شدّد المتقدمون من السلف الصالح في التحذير عن مخالطة كل شاذٍ عن طريق النبوة وحرّموا على تابعيهم مطالعة مؤلفات الفلاسفة التي لانهاية لسالك سبيلها إلا أن يدعى أنه الإله المستقل باختياره وتدبير شؤون نفسه بقدرته وإرادة يتظاهر بالاعتراف بأنهما موهوبان له فراراً من تكذيبه وبطلان

دعواه وقد بينا ذلك فى نشر الأسرار البشرية ثم يغدو امستند كفاً عن عبادة ربه مكتفياً بما افتتن به من العلم بالمعلومات الكونية التى ربما لم يحيط منها بما أحاط به عصفور أو سنور و لغوره وإعجابه بنفسه يزعم أنه عرف ربه معرفة أغنته عن كل معلم وأنه لكاذب إذ لو عرف ربه معرفة ذوى الالباب والبصائر لأخذ منه الحياء والخجل مأخذاً عظيماً يضطره إلى سلوك طريق الأدب التى سلكها الأنبياء وورثتهم وبذلك يفض البصر عن عيوب الناس ويتبصر فى عيوب نفسه التى مارضى عنها غيره حتى يعلم أهو من الناجين أم من الهالكين ولونقد أحوال نفسه ووزنها بالميزان الشرعى لعلم أنه ساقط العدالة لما فيه من الأخلاق التى ما أحس بفسادها إذ الغيبة التى هى أصغر عيب فيه مثلاً قالوا أنها أشد من سبعين زنية فى الإسلام وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس يوم القيامة والشاهد لا يكون إلا عدلاً فجزى الله السلف الصالح خيراً فيما صنعوا فلولاً نهيهم وتحذيرهم من متابعة إخوان الشياطين لما وصل البنا خبر ديلنا القويم وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب ببوم الدين لولا تداركنا الله بلطفه وسخر لنا قلوب عباده الصالحين حتى حفظوا قواعد الدين وأساساته فويل لنا إن أضعنا ما حفظوا وويل ثم ويل لمن استحب العمى على الهدى والله لا يهدى القوم الظالمين وأما وجهة خيار الأمة فى الحكم بكفر تلك الطائفة فما هى إلا أنهم ازدروا الفرائض التى ما شرعها الله وافترضها على عباده المخلصين إلا ليطهرهم ويزكهم ويظهر شرف الإنسان على العوالم الأخر فأبى الظالمون إلا كفوراً وأى شرف كشرف رجل سليم القلب صالح النية طاهر الأخلاق مهذب النفس وافر العقل يقف بين يدى ربه

مناجياً وداعياً في اليوم واللييلة خمس مرات متحققاً بأوصاف العبودية متأدباً بأداب الربوبية يقول يارب ويحييه لبيك يا عبدى فما أشرف هذا الموقف وما أكمل ذلك الواقع ولكن السفهاء ظنوا أن هذا عمل لا يقصد به إلا الاعتراف بالعبودية وإذلال النفوس المتعالية فلا يحتاج إليه إلا النفوس الشرودة الآية والله غنى عن ذلك فلذلك زعموا أن الصلاة ليست ذات أهمية واستدل الحق منهم على ذلك بأنها لو كانت ذات أهمية لحدد الله في القرآن أوقاتها وبين أركانها وبعضهم استدل بغير ذلك غافلين عن عناية الله بأحبابه التي بها ألزمهم أداء الصلاة في ساعة العسرة عند اشتداد الكروب في مواقع الحرب لكي لا يمنعهم مانع عن شهود ذلك المشهد الشريف وهل بعد ذلك عناية وشدة طلب ومن المفروضات الدينية الحج وقد كانوا يطوفون البلدان سائحين في أطراف الأرض وأكنافها ويمنعهم الإباء ودواعى الشقاء عن حج بيت الله الحرام وقد قال تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) وما وراء نص القرآن مبحث فلذا حكموا عليهم بالكفر وبعضهم قال بكفر الطبعيين منهم وفسوق الآخرين فيكونون من فساد الأمة الذين هم مرجون لأمر الله إما أن يعذبهم وإما أن يتوب عليهم لأنهم زعموا أنهم مصلحون وكل مصلح هاجر لمناسك دينه فهو المفسد لقوله تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) يريد بالترغيب في الدنيا وصرف القلوب عن الآخرة (قالوا إيمانحن مصلحون) لزعمهم أنهم ساعدون في إصلاح شئون قومهم فقال الله تبارك وتعالى (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) لأن إخوان الطيش والغرور كحلفاء

الخور في نقص الادراك ودهشة الفكر كذلك كل مصلح يريد تهذيب الأخلاق بغير الطريق التي جاءت بها الرسالة .

وما جاءت الرسالة إلا باستعمال الفرائض والنوافل الدينية حتى تتوطن النفوس على الانقياد للأوامر الشرعية وتهجر الأخلاق السيئة ولا يكون ذلك إلا باستدامة العمل بالمناسك إذ الإنسان بل وجميع الحيوانات في كل يوم على حال جديد في الخلق والخلق وإلا لما كبر الصغير وفنى الكبير وضلّ قوم بعد الهدى واهتدى آخرون بعد الضلال إذ التغير في الشئون الكونية من المشاهدات الحسية والمعنوية فلذلك ألزم أحبابه وعباده المؤمنين استدامة الصلاة والذكر لتقييد النفوس كي لا تشرد إلى شهواتها ولكن المنكرين قد حججهم الغرور والطغيان عن تلك المشاهد فظنوا أن الفرائض الدينية لا احتياج لها وجحدوا أهميتها فلذلك حكموا عليهم بالكفر . وأما تسميتهم سفهاء فلأنهم توارثوا منقول قواعد دينهم لا عن نبي مرسل ولا عن ولي مقبول ولكنهم توارثوها عن أفراد ما نالوا من العلم إلا قليلا في خطوات خطوها وراء شياطينهم وخلق عقول أهاجها عتيق الخمر الذي كانت تلك العقول لا تصادق الشرائع على تحريره لما توهموه فيه من المنفعة البدنية وما علموا أن الله جل شأنه وتقديست أسمائه ما نهى عنه إلا لأنه مجلبة اتباع الهوى فما زال بهم ذلك الطيش حتى ألزمهم التجوّل في البحث في ذات الله مع ورود النهي الشرعي عن ذلك وسموا ذلك المبحث ومقدماته الإلهيات وزعموا أن الإنسان يتصل بربه بالعالم بالمعلومات الكونية ولا يزال باحثا في تلك العوالم حتى يعثر بربه في نهايتها وإذ ذاك يجد نفسه وجها لوجه أمام الحقيقة الأبدية

فيكون كربه يعلم كل ما يعلمه ربه لا يغرب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وباليست من ذهب إلى هذا المذهب علم ما في زوايا بيته أو مقدار ما يخرج من دبره في يومه ولكنهم تعوّدوا القول بلا عمل فكان ذلك المسلك لبصائرهم مجلبة العمى كالملكوت بما لا تسمعه آماقه . ومن العجب أنهم لا يعبأون عند مزاحمة الجدل بما لم يرد به وارد من الكتاب القديم ليكونوا عاقلين وما كانت قواعد دينهم مؤسسة إلا على ظنيات وأوهام آراء ما ورد بها كتاب ولا سنة فلذلك سموهم السفهاء فقال ذلك السائل كيف تنكر أن العلم هو طريق الوصول إلى الله وقد قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ولا تكون الخشية إلا عن قرب وعرفان أولم تذكر فيما سطرته في نشر الأصرار أن العلم هو نهاية مسارب الواصلين وأشرت إلى أن ذلك العلم هو الرؤية التي طلبها الإمام ابن الفارض في رائيته الشعرية وأنه هو موقع الإشارة من قول القائل لو كشف عني الغطاء ما ازددت يقيناً فأجبتة نعم ولكنني ذكرت قبل ذلك أن العلم بالله غير العلم بالآغيار وعرفتكم أن العلم بالآغيار وأعني بها كل ما سوى الله غير محجور عليه بل يشترك فيه كل من أراد الله منه عملاً يحتاج في أدائه إلى علم معلومات كافية للقيام بذلك العمل لأن الخلائق هي مظاهر أفعال الله تعالى فذلك يشترك في ذلك العلم الأعمى والبصير وما عنيت بالأعمى إلا صاحب الدليل الذي أشار إليه الصوفي بقوله ما رقينا مقاماً إلا وسبقنا إليه ذلك الأعمى بعكازه أي بدليله لأنه لا يعتمد في سيره على الدليل العقلي إلا من لم يجعل الله له نوراً يتابع به الرسل إذ الدليل لا يتطرق إلا إلى المعلومات التي في قوة الفكر الاحاطة بشئ منها والحق سبحانه وتعالى

قد احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار أو تحيط به الأفكار أو تصل إليه العقول فكل متجه إلى ذلك الحمى الأقدس الاحمى من طريق العلم بلا عمل فليس أبداً هب إلا إلى مواقع المكر والاستدراج الإلهي وما فوق ذلك جهل وسفه وأما العلم الذي يهبه الله لعباده الصالحين من طريق التجليات الذاتية فها هو إلا العلم الرباني والفتح الصمداني الذي عبرنا عنه بالكشف عن الذات بالعلم النوري نقلاً عن السادة الواصلين وهو محجور إلا عن الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وليست التقوى هي مجرد الشعور بالعظمة كما زعم المبطلون فقد تعلم عظمة السلطان وتها به وترهب سطوته ولكنك تبغضه إذا فلا تكون التقوى إلا مع الوقوف في المواقف التي فرضها الله على عباده تحت ميازيب الرحمة ومهابط الأنوار امتثالاً لوعدهم إذ قال لهم أني في قبلة المصلي فلو وعدك حبيب باللقاء في مكان خاص واكتفيت بلفائه في أي طريق لكنت من الممقوتين وربما طردك طرداً مؤبداً وما أشغل السفهاء عن تلك المشاهد القدسية إلا الموانع التي أوضعتها في نشر الأسرار لأن التقوى التي يتوقف العلم النوري عليها لا تخاط تلك الموانع لأنهم اشترطوا أن المتعرض لنفحات ربه لا بد أن يكون متشعباً بالملائكة في قولهم (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وكل من أحاط به تلك الموانع يدعى أنه عليم حكيم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) فهذا تعلم أيها السائل أن العلم بالله لا يكون إلا بعد طهارة القلوب من الأغيار وتنويرها بالعمل المفروض والحاقه بالنافل بطريق متابعة الرسول في الأعمال والأحوال لا العمل الذي اعتقدت الفلاسفة أنه هو خلاصة

الدين إذ الدين والدنيا ضدان لا يجتمعان في قلب واحد ومن زعم ذلك فهو
جهول ضال لا يدري ما الله صانع به حالا واستقبالا ولقد تقول المتقولون
على الصوفية انهم قالوا إن الإنسان بمجرد الصلاة يصل إلى ربه وإنه بمجرد
الإيمان يقول للشيء كن فيكون ولو أراد أن يزحزح الجبل من مكانه لفعل
ولقد كذب الناقل وافتري القائل وتنزه القوم عن صدق هذا المخبر
الذي ما كان إلا كجارية النسوة التي لا تذبغ إلا ما توهمت صدقه من الأخبار
المحزنة ولقد خلق الإنسان هلوياً وما كان قول الصوفية في هذا الموضوع
إلا أن الإنسان إذا وهبه الله كمال الإيمان وتعرض لنفحات ربه حتى أدرك
وصلة المحبة التي لا تكون إلا بعد معرفته نفسه على ما هي عليه من
الأوصاف بالطريق التي ذكرها الإمام ابن عربي بقوله بعد كلام
لا شهد فناء مالم يكن وبقاء مالم يزل وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومة
مفقودة وكونها لم تشم رائحة الوجود فضلاً عن كونها موجودة هنالك
يجتمع شتاته وتنفعه صلاته وصلاته فيتخلق بأخلاق العبودية ويتحقق
بحقيقة الإنسانية التي أوصفناها في كتاب نشر الاسرار البشرية فيكون هو
الإنسان الكامل الذي قال له ربه عبيد أعطني تكن ربانياً تقول للشيء
كن فيكون كما كان عيسى عليه السلام وجميع الخلفاء الذين اصفطاهم
الله وهؤلاء هم القوم الذين تمسكوا بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم واعتصموا بقوة بسم الله الرحمن الرحيم متبايعين لرسولهم
قدماً بقدم ومن اقتنى آثارهم علم أخبارهم وتبين أمرارهم وأنوارهم
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة نور والصوم جنة
بضم الجيم ولا معنى للنور إلا العلم ولا ريب في أن الإيمان الصادق الذي

هو روح العمل يرقى بصاحبه إلى أعلى علمين ويجلسه في مقام التمكين
في مقعد صدق عند ملكك مقتدر ولقد طال المقال وضاق المجال وأجلنا
وقوفك أيها السائل على حقيقة الفرق بين الطائفتين إلى ظهور كتاب
سميناه النو الفارق بين الراقق والمارق يظهره سر القدر متى أراد الله
الفتح الرباني والفيض الاحسانى فساعدنا بدعائك وامدنا بمدد رضائك
(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا إنك أنت العزيز الحكيم)
والصلاة والسلام على النور الساطع الذاتى الأحدى وعلى آله وصحبه
والتابعين واحشرنا وارحمنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

صحح هذا الكتاب المفيد وضبطه وترجم لمؤلفه رضى الله عنه ،
كما قدم له . العبد الضعيف الفقير إلى ربه بدوى طه علام خادم العلم
الشريف ومحب الصالحين ، غفر الله له ولوالديه والمسلمين يوم الدين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله
رب العالمين .